التنويم المغنطيسي

إعداد:
أسْعَد لولو





جروس برس

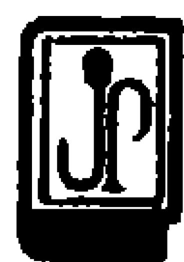
التّنويمُ المغنَطيسيّ

الطبعة الأولى
١٩٩٢

التّنويمُ المغنَطِيسيّ

إعـــداد

أسْعَد لولو



جـروس بـرس

طرابلس - لبنان

المقدّمة

إنّ الإنسان محور هذا الكون وهو البداية والنّهاية، وهو محور كلّ فلسفة منذ نشأة هذا الكون الغامض الذي يحيط بنا. ولا بدّ قبل أي بحث أن نشير إلى ازدواجية تلفّ الإنسان من كلّ جانب فإذا هو مكوّن من جسد وروح ومن عقل وقلب ومن وعي ولا وعي وإذا به معلّق بين حلم ويقظة. أضف إلى ذلك أن الإنسان لا يحرّكه شعوره فقط وإنّما يحرّكه اللاشعور. وقد أثبت العلم الحديث أنّ مجال اللّاشعور أشمل وأعمّ. والتجاذب قائم منذ القديم، والجدل محتدم دون هوادة بين العقل والشعور بين الوعي واللاوعي وكلّ طرف من الطرفين يدّعي أنّه المعرفة وسبيلها.

أمّا أصحاب الفريق الأوّل القائل بالعقل الواعي فعدّتهم المنطق فلا يعرفون إلاّ بلغة الأرقام ويُخضعون كلّ معرفة لعقلهم ومنطقهم ولا يؤمنون إلاّ بما تدركه حواسّهم ويؤيده عملهم فينكرون كلّ شيء لا يخضع للبرهان والتجربة.

وهناك آخرون يتأرجحون بين الشكّ واليقين فينصتون إلى

صوت عقولهم أحياناً فتخامرهم الشكوك، ثم تهبّ رياح الشّعور قوية عليهم فيميلون ناحية اليقين.

أمّا القائلون بغلبة الحياة اللاشعوريّة فهم يؤمنون بالعقل وسيلة للمعرفة المجرّدة العلميّة، ويعترفون له بالإنجازات التي قدّمها في مسيرة العلم والاكتشاف، ولكنهم يعتبرون أنّ رسائل العقل محدودة ومجال عمله محصور. وإلاّ فما هو موقف العقل من السحر وأسرار التنويم المغناطيسي الذي هو موضوع بحثنا ومن التنبّؤ بالغيب والمعجزات؟ وما هو موقفه من نظريّة التقمّص والتّناسخ ومناجاة الأرواح والإصابة بالعين؟ ما هو موقف العقل من الحاسّة السّادسة والصّحون الطّائرة والأبراج؟ ما هو موقف العقل من الفراسة والكهانة، ثمّ ما هي وسيلة العقل لمعرفة أسرار ما بعد الموت؟ ثمّ ما هو موقف العقل من الملائكة والشّياطين والتنجيم وتفسير الأحلام؟ وأخيراً لا آخراً ما هو موقف العقل من أساليب الطبّ الحديثة المسمّاة «الباربسيكولوجي» (Parapsychologie) التي غزت العقل في عقر داره، وفرضت نفسها على أساليب الطبّ التقليديَّة المعروفة؟ وما هو هذا العلم بالتحديد؟

إنّ «البارابسيكولوجي» من العلوم العصريّة التي تحاول أن تفسّر الأحداث الغريبة التي يبدو العقل عاجزاً عن تقديم الشروح الكافية لها. هناك تنبّؤات صادقة حصلت، هناك بيوت مسكونة، هناك أناس يمشون على النّار. هناك عمليّات جراحيّة تتمّ دون الاستعانة بآلات جراحيّة، هناك طبّ يتمّ باللمس، هناك استحضار أرواح وقراءة أفكار هناك باختصار السحر. تلك القصص المدهشة يعجز

العقل عن فهمها وإدراكها فيبقى حائراً أمامها. وقد يتساءل القارىء عن صحّة هذه الأخبار الغريبة فلا يجد الجواب المقنع فيردّ أسبابها إلى قوى خارجيّةٍ. وإذا أردنا الإجابة بوضوح علينا أن نعود إلى دراسة «البارابسيكولوجي».

إنّها دراسة علميّة تعنى بالظواهر والأحداث الغريبة فتحاول شرحها بشكل علميّ منطقيّ عقلانيّ وواضح. إنّها تفسّر ما لا تفسّره البسيكولوجيا العاديّة الكلاسيكيّة فتغوص في تحليل الغريب والعجيب فتعلّله تعليلاً كاملاً مقبولاً لكي تظهره أنّه من قوى الإنسان المجهولة. وهذا الذي يبدو للوهلة الأولى خارقاً أو معجزةً يصبح في متناول العقل والمنطق.

وإذا كان مجال بحثنا واسعاً إلى هذا الحدّ فإنّنا لن نضيع في متاهات هذه العلوم بل سنقتصر في هذا البحث على مسألة «التنويم المغناطيسي». وسنحاول في هذه الدراسة أن نثبت أنّ التنويم علم له جذوره العميقة في تاريخ البشريّة وله أصوله ومبادئه. وهو في الوقت نفسه فنّ لا يستطيع أن يكتسبه الإنسان عن طريق التحصيل وطالما أنّ التنويم فنّ فقد ينقلب إلى شعوذة إذا مارسه فنان تخلى عن مبادىء الخير والحقّ ومال به عن الغاية الأساسيّة.

أمّا الطريقة التي اعتمدناها في هذا البحث فإنّها تقتصر على علـم التنويم المغناطيسي كعلم قائم بنفسه. فقد قسمنا الكتاب إلى فصول متعدّدة تيسّر للقارىء أن يطّلع اطّلاعاً شاملاً على هذا العلم الذي شغل عقول النّاس منذ أقدم عصور التاريخ.

ففي الفصل الأول تحدّثنا عن نشأة هذا العلم وعن حدوده وفروعه ومجال استخدامه فذكرنا المصطلحات باللغات الأجنبية ومرادفاتها بلغتنا العربيّة. وفي الفصل الثاني رافقنا تطوّر هذا العلم خلال التاريخ البشريّ الطويل منذ القرون القديمة وحتى يومنا الحاضر ابتداء بالفرس فالهنود والمصريين والعبرانيّين والأشوريين والإغريق مروراً بأوروبا خلال العصور الوسطى وحتى يومنا هذا. فعرضنا للمدارس التي نشأت وللنّظريّات التي تبنّتها. وفي الفصل الثالث عرضنا لطرق التنويم فذكرنا أنواعها وأساليبها القديمة والحديثة وذكرنا أسماء أبرز عباقرة هذا العلم والإنجازات التي تحقّقت على أيديهم.

وفي الفصل الرابع عرضنا لقطبي عمليّة التنويم، وهما المنوِّم والنائم فذكرنا شروط نجاح تلك العمليّة وأشكالها المختلفة كما أشرنا إلى الطريقة المثلى في إيقاظ النّائم ثم ذكرنا المحاذير التي تنطوي عليها عمليّة التنويم. وفي فصل مستقلّ هو الخامس عرضنا لغرائب التنويم وأعطينا أمثلة حسّية عن الإنجازات التي تحققت في هذا المجال. فسمّينا الأشخاص بأسمائها وذكرنا الأمكنة والتواريخ بكل دقّة ووضوح. وفي فصل آخر هو الفصل السادس حدّدنا العلاقة بين التنويم كعلم وبين الطبّ والأخلاق، فذكرنا فوائد هذا العلم وحذّرنا من الممارسات التي قد تسيء إلى الأخلاق إذا تعدّى بعضهم الحدود المرسومة لهذا العلم، ثم انتقلنا في فصل لاحق إلى ذكر بعض التنبيهات الضرورية توخّياً للفائدة وتجنّباً للمحاذير.

وفي الفصول الثلاثة الأخيرة: الثّامن والتاسع والعاشر عرضنا

لآراء كبار المفكّرين في هذا المضمار فعرضنا في الفصل الثّامن رأي الدكتور روجيه الخوري في كتابه «البارابسيكولوجيا في خدمة العلم» بالتنويم المغناطيسي، كما ذكرنا رأي الدكتور فؤاد صرّوف في الفصل التاسع ورأي العلاّمة محمد فريد وجدي في الفصل العاشر.

وإننّا بعد هذا العرض الموجز لمضمون الكتاب نأمل أن نكون قد سلّطنا الضّوء على مسألة غامضة في حياتنا بحيث إنّ أسرار علم التنويم المغناطيسي لن تبقى أسراراً بعد قراءة هذا الكتاب الحافل بالشروحات والأمثلة التاريخيّة والتحليل العلمي.

الفصل الأول

ما هو التنويم المغناطيسي

١ - المغناطيس

لا شكّ أنّ المغناطيس قوة خفيّة تُحدث انجذاباً في الأجسام وبعبارة أخرى هو موادّ خفيّة توافرت فيها خاصّيّة جذب بعض الأجسام كالحديد، والنيكل والكروم، وما شابه. والمغناطيس هو أكسيد Oxyde لأنّك إذا دلكت به قضيباً من الحديد، فإنّه يكتسب خاصّيّة الجذب، ويقال إنّه تمغنط، وهو من حيث وجوده يشبه الكهرباء كقوّة غير منظورة تؤثّر في الأجسام الحيَّة. وقد بحث كثيرون من العلماء في ماهيّة الجاذبيّة المغناطيسيَّة والكهربائيَّة فتوصَّلوا إلى أنَّ الجاذبيّة الكهربائيّة والمغناطيسيّة قوّة موجودة في داخل الأجسام الجامدة والنباتيّة والحيوانيّة كوجود الروح داخل الأجسام الحيَّة لا تُرى، ولا تُلمس إنّما يظهر تأثيرها فقط كما يظهر تأثير الهواء من حيث الحرارة والبرودة على جسد الإنسان.

وحين تكون هذه القوّة الخفيَّة موجودة في الإنسان فإنَّ تأثيرها يكون أعظم وأغرب فعلاً، ذلك أنَّ الإنسان خصّهُ الخالق بسلطان

التأثير في سائر الكائنات، وجعل له نفساً هي مستودع الغرائب والعجائب. فالنّفس هي أصل هذا الوجود، وهي التي تأمر الجسد إذ تدخل فيه وتجعله ينصاع مرغماً إلى أوامرها ونواهيها. فلا غرابة إذا حاول الإنسان أن يعرف أسرار الطبيعة خصوصاً إذا تجرّدت نفسه عن المادّة وخلصت من الاشتغال في خدمة الجسد الذي سجنت بداخله وحلّقت في ملكوت هذا الكون الذي هو ميدانها الطبيعيّ الذي انحدرت فيه.

ولو أردنا أنْ نعدّد المجالات التي تستطيع النّفس أنْ تؤثّر فيها لقادنا الكلام إلى البحث في كثير من العلوم الروحانية كعلم السحر والطلاسم ومخاطبة الأرواح وقراءة الأفكار والتنبّؤ بالغيب وغير ذلك ولكن ما نريد أنْ نتوقّف عنده بوجه الخصوص هو علم «التنويم المغناطيسي» ذلك العلم الذي يظهر فيه تأثير القوى النفسية في غيرها من الكائنات الأخرى. ونشير هنا إلى أن للنفس البشرية قوةً يُقال لها قوة الإرادة باستطاعتها ـ إذا توافرت في إنسان معين ـ أن تأتي بالخوارق من الأفعال، ذلك أنّ النّفس البشريّة إذا صَفَت من أدرانها وخلصت من الاشتغال بالقوى الأخرى وانحصرت انفعالاتها في هذه القوة انحصاراً كلياً ثمّ توجهت هذه الإرادة توجّهاً نفسانياً فكلّ شيء يريده الإنسان يظهر له، ولو كان ذلك الشيء في أعماق البحار أو وراء الجبال أو في الأفلاك المحيطة بنا.

وأول باب لهذه القوة هو «الفراسة» ذلك أنّك إذا وجّهت قوة

نفسك الإرادية باتجاه إنسان معيّن، وكانت نفسك لا شاغل لها إلا ما في نفس ذلك الشخص، ثم عطّلت كل حركة فكرية لديك بحيث تصفو نفسك فوق مستوى عالم المادّة، فإنّك تخبره بما في ضميره المكفون كأنّه شيء ظاهر أمام عينيك ظهور الأشياء الحسيّة العادية التي تدركها بحاسّة البصر والعين المجرّدة. كذلك الأمر إذا كانت إرادتك موجّهة إلى معرفة ما جرى له في حياته من خير وشرّ فإنّك تخبره بماضي حياته القريب والبعيد ثم إنّ هذه القوّة النفسيّة إذا ارتقت إلى درجة عالية فإنك تخبره بما ينتظره في مستقبل أيّامه من أحداث خيّرة أو شرّيرة.

ولمّا كانت النفس البشريّة ذات نفوذ وتأثير قويين على الجسد بكامله فقد تستخدم أجزاء من هذا الجسد تتلاءم مع حركة قوّتها ونفوذها كأن تستخدم العين مثلاً للوصول إلى تأثيرها في الأشياء الخارجية. ومن هنا نلاحظ أنّ العين هي الواسطة التي تتخذ لها النّفس لأجل الوقوف على ما خفي عنها وللسيطرة على ما هو أقوى منها. فالحيوان المفترس إذا أبصر فريسته فإنّها يبعث الرعب في قلبها بواسطة النظر إليها. كما نشير إلى مثال آخر مما هو كائن بين الهرّ والفأر أو الثعلب والدجاجة. فالهرّ والثعلب يسيطران على فريستهما بقوّة النظر المنبعثة من نفسهما إذ هي في هذه الحالة منحصرة في مكان واحد كما أشرنا سابقاً. وبما أنّ النفس البشرية هي أرقى نفوس الكائنات فإنها ولا شكّ أكثر تأثيراً، لذلك كان التنويم المغناطيسي بين الإنسان وأخيه.

٢ ـ التنويم المغناطيسي

ـ تحديده

عرّف أحد العلماء التنويم المغناطيسي بأنّه حالة نفسية يقبل فيها العقل الباطن الإيحاءات الموجَّهة إليه بسهولة ويعمل على تحقيقها بقوّة تفوق القوّة العاديّة؛ ذلك أنّه في حالة النوم المغناطيسي يكون العقل الواعي الذي نعرفه معطّلاً وهنا تكون الفرصة سانحة لأن يصل الإيحاء إلى العقل الباطن دون عائق.

كما عرّفه عالم آخر بأنّه إحداث حالة لا تختلف من الناحية الفيزيولوجية (الجسمية) عن حالة النّوم العادي. وأمّا الظواهر التي تحدث أثناء التنويم فمرجعها خيال النائم وعقله الباطن الذي يتأثّر بالإيحاءات التي يلقيها إليه المنوِّم ويعمل بموجبها. فحالة التنويم تتعلّق بالنّائم وتقوم في عقله الباطن فقط. أمّا القوّة المغناطيسية التي يحوزها المنوِّم فيتجلى أثرها في سرعة إحداث التنويم وقوّة الإيحاء والصّادرة عنه.

ـ حقائق لا بد منها

- التنويم المغناطيسي لا ينجم عنه أي ضرر أو خطر إذا مارسه شخص مدرّب مثقف في هذا الفن موضع ثقة وذو أخلاق.
- لا يمكن تنويم أي شخص مغناطيسياً رغماً عن إرادته.
- لا ينشأ عن التنويم أيّة أمراض عصبيّة على الإطلاق بل على العكس يمكن اتخاذ التنويم وسيلة لعلاج بعض الأمراض العصبيّة.

ـ إنّ التنويم المغناطيسي ليس صراعاً بين إرادة المنوّم وبين الشخص المراد تنويمه، بل هو اتّحاد مسبق بين الإرادتين لإحداث حالة التنويم. وليس ما يمنع أنْ تكون إرادة النّائم أقوى من إرادة المنوّم، وبالتالي لا صحّة لما يشاع بأن إرادة النائم ضعيفة ولذلك خضعت أمام إرادة المنوّم الأقوى منها.

ـ أكثر النّاس قابلية للتنويم هم أصحّاء الأجسام وسليمو العقول. ولا صحة لما يشاع بأنّ الأشخاص ذوي الإرادة الضعيفة هم أكثر قابلية للتنويم من غيرهم. وقد دلّت الاختبارات أنّ المعتوه لا يمكن تنويمه لأنّه لا يملك قوة التركيز التي لا بدّ منها، ولكن يمكن تنويم الأشخاص الذين يعانون من بعض الشذوذ فيصبح علاجهم يسيراً.

ـ يقال إنّ النائم مغناطيسياً قد يسترسل في الكلام فيبوح بأسرار نفسه أو بجرم ارتكبه أو أي شيء آخر، وهذا قليل إذ تبيّن أنّ بعض المنوّمين كانوا يعرفون مسبقاً أنّ مرضاهم ارتكبوا جريمة معينة، فلمّا سألوهم وهم في حالة النوم المغناطيسي عن جريمتهم لم يبوحوا بسرهم مطلقاً، بل كانوا يرفضون الإجابة على السؤال رفضاً باتاً أو يجيبون بشكل يضلل المنوِّم.

ـ ليس صحيحاً أنّ النّوم مغناطيسياً يُضعف إرادة المريض. والواقع أن الاستغراق في النوم المغناطيسي لا يعرّض النائم لأي ضرر، بل ليس له من أثر أكثر مما للنوم العادي لمدة مماثلة.

ـ قد يحدث للنائم مغناطيسياً حدث معين بعد أسبوع مثلاً أو

أكثر فينسب الجاهلون ما حدث إلى التنويم، وهذا ما ينعكس سلباً على المنوّم وعلى عملية التنويم بحد ذاتها.

- يظن البعض أنّ التنويم يثير الهستيريا ويسبب بعض الحالات العصبية مع أنّ الواقع يؤكّد أنّ التنويم هو العلاج لهذه الحالات.

- لا يمكن دفع النائم مغناطيسياً إلى أن يعمل ما يتعارض مع مبادئه الثابتة، وقد أثبتت التجربة أنّه إذا أعطي للنائم مغناطيسياً لعبة على شكل مسدس ووُجّه إليه إيحاء بأن يستعملها فإنه يلبّي الإيحاء، ولكن إذا انتزعت منه وأعطي سلاحاً حقيقياً عوضاً منها فإنّه يلقي السلاح جانباً ويمتنع عن استعماله.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أنّ عدداً من القضاة والأساتذة وفدوا ذات يوم ليشهدوا عرض تنويم مغناطيسي، وكان النائم شخصاً قابلاً للإيحاء يستجيب لكل الأسئلة وهو في شبه غيبوبة. ولمّا أراد بعض الحاضرين أنْ يهزأ بالنائم ويقول له بأنه منفرد في منزله وأنّ عليه أن يخلع ملابسه ليدخل إلى الحمام، استيقظ النائم من نومه المغناطيسي وهو في حالة عصبية ليرد على ذلك الرجل بعنف. والثّابت أنّ الشخص النّائم مغناطيسياً لا يقوم على وجه العموم بأي عمل مناف للحشمة أو للأخلاق وإذا طلب منه صدفة أن يقوم بما يشبه هذه الأعمال فإنّه يستيقظ وقد أصيب بصدمة شديدة. وإذا حدث أن استجاب بعض الأشخاص لهذه الإيحاءات فإن التحليل النفسي يؤكد أنّ هؤلاء الأشخاص يميلون إلى هذا النوع من الأعمال ويمارسونه فعلاً أي إنّهم يعملون أثناء التنويم ما

تعودوا عليه قبل عملية التنويم.

٣ ـ تاريخ التنويم المغناطيسي

لا بد من مواكبة تاريخية لعملية التنويم لنقف على المراحل التي مرت بها قبل أن تصل إلينا وتصبح علماً قائماً بذاته. فالكلمة يونانية الأصل «Hypnotism» تعني التنويم وهي مشتقة من كلمة «Hypnos» الذي معناها «النوم». ثم تحولت الكلمة إلى «Hypnotikos» التي تعني «الميل إلى النوم» أو «التحريض على النوم».

والتنويم مأخوذ من عدة موضوعات مختلفة ومتعددة مثل «Personal Magnetism» أي المغناطيسيّة البشريّة وما يسمى «Mesmerism» أي الجاذبيّة المغناطيسيّة التي نشاهدها في الأجسام. أمّا مصطلح التنويم المغناطيسي فيعرف تحت تسمية «Braidism» نسبة إلى العالم «James Braid». وهناك مصطلح «Animal Magnetism» الذي يعني المغناطيسيّة الحيوانيّة. ثمّ هناك ما يسمى «Artificial Somnambulism» أي المشي الطبيعي في النّوم أو النّوم الصوري بحيث يكون الإنسان ماشياً وهو في الحقيقة نائم. وهناك ما يسمى «Electro Biology» أي علم القوى العقلية وعبارة «Suggestion» أي عالم الغيب والتخمين وعبارة «Neuro-hypnotism» أي علم تخدير الأعصاب وعبارة «Psychim» أي حياة الإنسان الداخلية، وغيرها من العبارات المتعدّدة في هذا المجال.

وإذا كان اليونان قد وضعوا معظم المصطلحات في هذا المجال

فلا يسعنا إلاّ أنْ نذكر أنّ التنويم المغناطيسي كان معروفاً في زمن قديم حيث تذكر كتب التواريخ أنّ كهنة المجوس والبراهمة وغيرهم من كهنة الأوثان في سائر الأمم كانوا يستعملون التنويم المغناطيسي غير عالمين أنّه ميدان واسع من العلم والمعرفة. وقد ظل هذا الأسلوب في العلاج معروفاً خلال العصور اللاحقة حتى ظهر العالم والطبيب الألماني «فريدريك مسمر» سنة ١٧٣٣ الذي اكتشف المغناطيسيّة الحيوانيّة وأحْيَا هذا العلم باكتشافه ما سمي باللغة الأجنبية «المسميرزم» الذي معناه الجاذبية المغناطيسية الحيوانية.

٤ ـ المانيتسم والسومنامبوليسم «Somnambulism»

إنّها كلمتان أعجميتان أصبحنا نسمع بها في كل حين، ونقرأ عنها المقالات الطويلة والفصول الممتعة: ومعنى الأولى المغناطيسية الجسميّة أو المغناطيسيّة الحيوانيّة ومعنى الثانية حالة النائم الذي يعمل أعمال المستيقظ والثانية هي الحالة النّاجمة عن الأولى بل أساسها ومصدرها.

فالمانيتسم أو المغناطيسيّة الحيوانيّة عرفت منذ القدم وكانت تُعَدُّ من الأسرار الدينية وكان كهّان ذلك العصر يحرصون على إبقائها سراً فلا يمارسونها إلاّ في الحفلات العامّة وأثناء القيام بالشعائر الدينية حيث يقومون بأعمال وشعوذات تعد من الخوارق. والمانيتسم عمل فعال قوي تستطيع أن تقوم به إرادة الإنسان على جسم غيره إمّا بطريقة التأثير بحركات يدويّة أو بواسطة اللمس أو بمجرد

الإرادة وحدها. وتختلف نتيجة هذه الحركات باختلاف الأسباب والأشخاص. ونتيجة هذا المنيتسم حرارة لطيفة تؤثّر في الجسم يعقبها نُعاس فَرُقاد عميق ففقدان الشعور الخارجي فقداناً جزئياً أو كليّاً وهذا ما يسمى بالسومنامبوليسم. وقد تنجم عن هذه الحالة أحياناً تشنجات وحركات عصبية حيث تشدّد العضلات والأعصاب تشدداً يجعل الجسم قطعة واحدة لا تنثني، وقد يعقبها حالة من الذهول. وكلما تكررت هذه العملية حصلت النتائج بسهولة أكبر.

أمّا التفسير العلمي لهذه الأمور فعائد إلى وجود سائل لطيف مشابه للمغناطيسيّة المعدنية التي نشاهد تأثيرها في المعادن لكنها مغناطيسيّة خاصة بالمخلوقات الحيّة، ولذلك أسموها المغناطيسيّة الحيوانيّة وإنّ هذا السائل مشابه للسائل العصبي الذي توجهه الإرادة إلى الأعصاب لتحركها وهي بالتالي قادرة أن ترشق هذا السائل إلى خارج الجسم فتجعله يدخل جسم شخص آخر. ويزعمون أنّ هذا السائل يستطيع أنْ يزيد النقص الحاصل في الجسم الذي يدخل إليه بحيث تزداد الإرادة في الإنسان كما تقوى الثقة بقوّته الذاتيّة.

ومن خصائص السومنامبوليسم أنّه يمكّن الإنسان النائم مغناطيسيّاً أن يحادث الشخص الذي يسأله، وأنْ يقوم بسهولة بالأعمال الأشد صعوبة والأكثر خطراً وأن يرى في الظلام بدون نور وأن يقرأ وعيناه مغمضتان وأن يعظ ويخطب دون أن يكون له أقلّ إلمام بهذين الفنين. وهو يستطيع أن يعزف أصعب الألحان

والقطع الموسيقيّة على أصعب الآلات دون أن يكون موسيقيّاً ، وأن يقلّد أصوات الآلات الموسيقيّة بصورةٍ مدهشة حتّى يخيّل للسّامع أنّه أمام معجزة. كما يستطيع النّائم أن يعمل بإتقان كلّ ما يطلب إليه من الأعمال التي يعجز عنها سائر الناس. على أن كلّ ما ذكرناه عن القدرة التي يتمتع بها النائم مغناطيسيّاً يمكن توجيهها باتجاه المانيتسم الصناعي بحيث يستطيع النائم أن يقوم بألعاب الخفة والمهارة التي يعجز الإنسان العاديّ عن تفسيرها.

الفصل الثاني

التنويم المغناطيسي قديماً وحديثاً

١ - التنويم المغناطيسيّ قديماً

للتنويم المغناطيسي جذور عميقة في تاريخ الفكر البشري قبل أن يتحوّل في السنوات الأخيرة علماً قائماً بذاته له قواعده وأصوله. والتنويم حقيقة علمية عرفتها البشرية ومارستها في مختلف العصور بصور وأشكال متنوعة. وقد أخضعه العلماء في العصور اللاحقة للبحث العلمي فقدموا الأدلة العلمية على وجوده، وشفوا بواسطته الأمراض المستعصية بحيث جاءت نتائجه حسّيّة لا يرقى إليها أي شكّ.

فمنذ القدم كان لبعض الناس تأثير نفسي على أشخاص آخرين وما زال هذا التأثير يمارس حتى يومنا هذا في كلّ مكان وزمان. وإنّ ما خلّفته الأجيال الغابرة من كتابات متناثرة وصور منقوشة تدل بوضوح على أنّهم عرفوا التنويم المغناطيسي ومارسوه بأنفسهم، وأنّ كثيراً من الأسرار التي كانت تحيط بالسحر والكهانة والفراسة وغيرها من العلوم، إنّما كانت قائمة على معرفتهم للتأثير النفسي في

صورة التنويم واستخدامهم إياه بطريقة عملية شبيهة بما نعرفه عنه في أيامنا هذه. فقد كان الاعتقاد السائد قديماً أنّ هناك فئة من الناس كالسحرة والمنجمين والكهان يملكون قوة سرّيّة مستقرّة في باطنهم يستطيعون بواسطتها التأثير على الآخرين؛ وهذه القوّة تتيح لهم ممارسة أقصى درجات التحكّم بمشاعر الآخرين من حيث الإقناع والأمر والنهي.

أ ـ التنويم عند الفرس والهنود

كان المجوس من الفرس والكهان من الهنود يمارسون التأثير النفسي المعروف حديثاً بالتنويم بصور مختلفة. فيوجد في أسفار «آثار فافيدا» الهندية كثير من التَّعازيم والرقى والصلوات المندرجة تحت اسم «منتراس» وهي إيحاءات لدفع سوء الحظ وإزالة المرض ورقى الحيّات والتخلّص من تأثيرات الجنّ وإكثار الخيرات والبركات وغيره...

وهناك أيضاً قصائد منظومة وضعت خصيصاً لإحداث «النوم السحري». وكل من يدرس الطقوس الدينية لدى الهنود يرى كيف أنّ التنويم يلعب دوراً أساسيّاً فيها ولا سيما في الاحتفالات التي تقام لآلهة الجو والحصاد تحت إشراف البراهمة، وحالات التأمل والانشغاف التي يستغرق فيها رهبان الهندوس وراهباتهم. كما نلاحظ أنّ وسائل إحداث الغيبوبة عند اليوغا لا تختلف شيئاً عن أساليب التنويم الحديث فيبدأون بممارسة بعض الشعائر والطقوس ثم يتجنبون كل المؤثرات الخارجية، ويركزون انتباههم على شيء

يضعونه أمامهم ليشغلهم عن العالم الخارجي الذي يحيط بهم. وكان أفراد القبائل الهمجية يمارسون احتفالات يرقصون فيها على أنغام الطبّول التي تدقّ على وتيرة واحدة، فينشأ عن القرع إثارة حسية طوعية تسبب مرحاً وانفعالاً حادّاً في صفوف الحاضرين تقترب أحياناً من حالة الجنون المؤقّت وتبدو فيها ظواهر مختلفة شبيهة بظواهر التنويم المغناطيسي.

ب ـ التنويم عند المصريين القدامى

كان الكهنة المصريون يمارسون العرافة، وهم في حالة الغيبوبة التامّة النّاتجة عن تحديقهم في أشياء براقة ذات نقوش عجيبة. وكان بعض الكهنة يمارسون طقوسهم الدينية وعيونهم مغمضة ليهيئوا نفوسهم لمشاهدة الآلهة كما يعتقدون. وكانت الغيبوبة التي تنشأ في الهيكل أثناء الصلاة نوعاً من النوم المغناطيسي، وهذا الأمر كان شائعاً حتى عند غير المصريين القدامى إذ كان الوثنيون بصورة عامة يعتقدون هذا الاعتقاد. كما أنّ سِيَر الآلهة والتمائم والأغاني الدينية كانت تلقى بنغمات دقيقة مؤثرة جامعة لوسائل التأثير الإيحائي والمغناطيسيّ إذ كان يقصد بها جعل المتعبّدين في حالة تخدير وغيبوبة.

ج ـ ممارسات المغول

في عام ١٢٥٣ للميلاد كان الراهب ولهلم فون رويسبروك في ضيافة الإمبراطور المغولي منجوخان. وحدث أثناء إقامته هناك أنْ

مرضت إحدى سراري الخان، فبعث في طلب العرّافين الرسميّين لاستشاراتهم، فلما مثلوا بين يدي الخان طلبوا ابنة المريضة، فلما جيء بها إليهم تلوا عليها بعض التعازيم، فصيروها في حالة غيبوبة استمرّت ثلاثة أيام بلياليها، ثم قامت البنت من الغيبوبة فسألها العرافون عن أحلامها واستدلّوا من تلك الأحلام على مرض والدتها.

د ـ التنويم عند العبرانيين والأشوريين

وكان العبرانيون والأشوريون يستخدمون وضع الأيدي والنفخ في علاج الأمراض (٢ ملوك ٥ : ١١) وكانوا يلجأون إلى الرائي يسألونه عن الأمور الخاصّة بهم كأفراد أو عن الشؤون العامة كالحروب (صموئيل الأول ٩).

هـ ـ التنويم عند قدماء الإغريق

مارس أطباء الإغريق قديماً حركات سحرية تشبه التمريرات أو السحابات اليدوية التي يستخدمها أصحاب التنويم المغناطيسي. وكان هناك كهنة متخصصون في بعض الهياكل للاستشارة الطبية، فكانوا إذا قصدهم مريض وأرادوا معالجته يلقون بأنفسهم في حالة من الغيبوبة تقرب من اليقظة النوميّة المعروفة بالسومنابوليسم.

و ـ التنويم عند الرّومان

كان الإمبراطوران كلوديوس وخسباسيان يشفيان الأمراض بوضع اليدين بطرق معينة على مكان الداء وكان اسكلابيوس وهو

في حالة تقرب من الحلم يُشخِّص لمرضاه أمراضهم، ويصف لهم علاجهم، كما كان في بعض الأحيان ينفخ بفمه على الأجزاء المريضة أو يربت عليها بيديه لإزالة الألم. وقد استعمل تلاميذه التنويم لشفاء الأمراض. واختص اسكليبيادس بعلاج المصابين بالخبل، فكان ينومهم بواسطة الدلك، وكلما أكثر من الدلك فإنّ المريض يغوص في نوم عميق لفترة أطول.

ز ـ التنويم عند الفرنسيِّين

كانت النّساء اللواتي ينشأن في المعابد والهياكل يمارسن أعمال الكهان فيتنبّأن بالغيب، ويكشفن أسرار المستقبل، ويعالجن الأمراض المستعصية، وكل ذلك بعد تمضية فترة من النّوم حيث يستسلمن للراحة في أجواء هادئة.

٢ ـ التنويم المغناطيسي حديثاً

الكلام على التنويم المغناطيسي حديثاً يقودنا حكماً إلى الكلام على الدكتور أنطوني مسمر الذي يعتبر رائداً في هذا المجال. فقد ولد في الخامس من شهر أيّار سنة ١٧٣٤ بمدينة شتين على ضفاف الرّين. وبعد أن انتهى من دراسة الطبّ في مدينة فينّا النمساويّة تابع ما كان يقوم به الأب هيهل من شفاء بعض الأمراض بواسطة قطع مغناطيسيّة معدّة لهذا الغرض. وبعد أن تلقّى الدكتور مسمر علم العلاج المغناطيسي من الأب هيهل وبرع في ممارسته، قام بإجراء عدّة تجارب في «المغناطيسيّة الحيوانيّة» ثم أعلن نظريته عام ١٧٧٥ فأثار في جميع أنحاء أوروبا ضجّة كبرى، ونال إعجاب

النّاس بمقدرته العجيبة وإنجازاته التي تعدّ في إطار المستحيلات حيث كان يفرض على النّاس خضوعهم له فيجعلهم يلبون إرادته وأوامره بصورة كاملة. وقد عزا قوّته إلى قدرته على ضبط السّائل الشبيه بالقوّة المغناطيسيّة الذي يحلّ في جسم الشّخص الذي يريد تنويمه. فكان التنويم يجري بوقت قصير بمجرّد أن يمرر يديه على المريض، ويصبح المريض آلة طيّعة في يديه يحركها كيفما شاء.

أمّا عيادته فكانت صالة كبيرة معتَّمة تغطي الستائر نوافذها وأبوابها، وفي وسطها بركة جبارة أرجاؤها من خشب السنديان يبلغ ارتفاعها ثلاثين سنتيمتراً وهي كبيرة لدرجة أنّها تسمح لثلاثين مريضاً بالوقوف حولها. وكانت هذه البركة تملأ بالماء وتوضع فيها مبارد حديديّة وأرضيّة من الزّجاج وعدد من الزّجاجات مرتبة بطريقة متناسقة، وكان يوضع على البركة غطاء خشبي به فتحات تبرز منها قضبان حديدية ذات مفاصل. ويستخدم المرضى هذه القضبان بأنفسهم بتمريرها على الأجزاء المريضة. وعندما كان المرضى يحيطون بهذه البركة كانوا يؤمرون بأن يحافظوا على الصّمت التّام، وربما كان ذلك لجعلهم أكثر قابلية للموسيقى المعدّة خصيصاً لهذه المناسبة. وفي اللحظة السيكولوجية كان الدكتور مسمر يظهر في الصالة بصورة مفاجئة وهو يرتدي ثوباً حريرياً برّاقاً. وكان يمرّ بين المرضى مثبتاً نظره عليهم ممراً يديه على أجسامهم، ولامساً إيَّاهم بعصاً حديدية، وكان معظم المرضى يشفون بعد جلستين أو ثلاث جلسات على الأكثر. وقد استطاع هذا الدكتور أن يجمع حوله أتباعاً كثيرين تكوّنت منهم مدرسة

سمّيت «المسمرزم» نسبة إليه.

أ ـ جيمس بريد والهبنوتزم

كان الدكتور جيمس بريد جراحاً شهيراً بمدينة منشستر الإنكليزية، وكان مثله مثل الغالبية من زملائه الأطباء يعتبر المسمرزم ونتائجه ناشئة عن خداع النفس والاحتيال، ولكنّه بعد أن شاهد إحدى المعالجات من قبل الدكتور مسمر قرّر أن يجري بنفسه بعض التجارب. وفي عام ١٨٤١ توصّل إلى اكتشاف عجيب وهو أنّه يمكن إيجاد حالة غيبوبة خاصة يمارس معها العلاج أحياناً وذلك بتركيز الانتباه على نقطة مركزيّة ثابتة. وهو أوّل من أطلق عبارة Hypnotism المشتقة من اليونانية ومعناها النّوم، وأطلق هذه العبارة على ظواهر التنويم، وأعلن وجود علاقة ثابتة بين التنويم وبين النّوم الطبيعي. وأنّ التنويم ينشأ عن إجهاد أعضاء الحسّ، وأنّ انتباه المريض إذا تركّز على شيء برّاق ثابت أو خلافه فإنّه يحدث حالة نفسية باطنة يصبح معها قابلاً للإيحاءات التي يلقيها إليه المنوّم.

ب ـ ليبولت مؤسس مدرسة نانسي

بدأ الدكتور ليبولت في مدينة نانسي في فرنسا بدرس المسمرزم عام ١٨٦٤، وأنشأ عيادة للعلاج بهذه الطريقة، وحصل على نتائج عجيبة مع مرضاه خلال فترة عشرين عاماً. وفي عام ١٨٦٦ أعلن أنّ ظواهر التنويم إنّما ترجع إلى التأثير النفسي أو الإيحاء. وكانت

عيادته عبارة عن غرفتين في زاوية حديثة، وكان يأمر المرضى أن يناموا، فكانوا في الحال ينعسون نعاساً هادئاً ثم يأخذون جرعتهم من الإيحاءات الشافية. وعندما كانت تصدر إليهم الأوامر بأنْ يستيقظوا كانوا يسيرون بهدوء بعيداً ويجلسون قليلاً للتحدث إلى أصدقائهم، وكان العلاج لا يستغرق أكثر من عشر دقائق وما كانوا يعطون أي دواء. وكان الدكتور ليبولت يحرص على أن يشرح لمرضاه وأن يؤكّد لهم أن كلّ ما يحدث عنده من علاج يمكن تفسيره علمياً، وأنّه لا يمارس أية قوّة خفية كما يزعم الجاهلون. وفي عام ١٨٨٢ شَفَى ليبولت حالة سياتيكا شديدة (عرق النّسا) عند مريض ظلّ الأطباء يعالجونه ستّة أشهر دون جدوى. فجاء أشهر هؤلاء الأطباء المعالجين وهو الدكتور «برنهيم» ليشاهد أسلوب ليبولت في المعالجة ولينضم إلى مدرسته ويتتلمذ على يده. وقد أطلق اسم «مدرسة نانسي» على من قبلوا نظريات الدكتور ليبولت. وقد أكمل الدكتور برنهيم نظريات أستاذه وشرحها، وهي تتلخّص في أنّ التعليل التامّ للتنويم إنّما يقوم عن طريقة الإيحاء.

ج - التنويم اليقظ

وفي عام ١٨٨٤ أعلن الدكتور برنارد Bernard اكتشاف الحالة الهبنوتيكية الرابعة وهي الحالة التي يكون فيها الشخص واقعاً تحت تأثير الإيحاء الصادر من المنوّم، ولكنه مع ذلك يبقى شاعراً بما حوله محتفظاً بذكرى تامّة لكل ما يجري له وما يحيط به. وسمي هذا بالتنويم اليقظ وهو الحالة الأساسية إذ ليس النوم بمقدّمة من

مقدّمات التنويم ولا هو بلازمة من لوازمه، بل هو مجرد صورة من صوره.

د - اميل كويه

في عام ١٨٨٥ تقابل ليبولت في مدينة تروي مع شاب صيدلي يسمى إميل كويه. وتتلمذ كويه له ومارس الإيحاء التنويمي (الهبنوتيكي) على طريقته. وقد لاحظ كويه تأثير الإيحاء اليقظ في إحداث الشفاء، فعكف على دراسته مدّة خمس وعشرين سنة حيث أسّس ما أسماه مدرسة نانسي الجديدة، واتّخذ من بيته عيادة له وأعطى إيحاءاته الشافية مجّاناً لقاصديه الكثيرين، ونال شهرة واسعة تخطّت الحدود، واعتمد كثيراً على الإيحاء اليقظ وسمّاه الإيحاء الذاتي مقرّراً أنّ كلّ إيحاء ليس في الحقيقة إلا إيحاء ذاتياً، وإن القوّة الفعالة في التنويم إنّما هي الإيحاء وإنه يمكن إعطاء الإيحاء في غير حالة النوم ويمكن أن يقوم به المريض نفسه.

٣ - لمحة عن تاريخ المانيتسم

ذكرنا أن التطبيب بطريقة المغناطيس والجاذبية عملية معروفة منذ زمن بعيد فقد ذكرها باراسلس، ونوكلمان وجان روبرتي وفان هلمون، وروبرت فلود، وكيرشر، وماكسويل على أنّ مسمر الطبيب الألماني الشّهير هو المكتشف لطريقة المانيتسم كما هي معروفة في أيّامنا.

فقد توصل هذا العالم بواسطة تجارب قام بها إلى شفاء

الأمراض بواسطة القوّة المغناطيسية المعدنيّة، كما أكّد على وجود ما يُسمّى بالقوّة المغناطيسيّة الحيوانيّة، كما ظهرت تأثيراتها في المخلوقات الحيّة. وقد قدم إلى باريس سنة ١٧٧٨ وعرض طريقته هذه وقام بتجارب كان لها تأثير مدهش على المرضى العديدين الذين كانوا يجتمعون حول ما كان يسميه المائدة المغناطيسيّة. فقد وجّه إليه هذا النجاح أنظار عموم الناس، ثمّ ما لبث أن التفّ حوله تلاميذ عديدون اهتمّوا بالاكتشافات التي توصّل إليها، وتابعوا السير في الطريق ذاته.

وفي سنة ١٧٨٤ تألفت لجنة من أشهر العلماء يومئذ، وكانت هذه اللجنة تضم فلاسفة وأطبّاء وفيزيائيّين وغيرهم من رجال العلم والفكر والفلسفة بينهم: باللي، لافوازيه، فرانكلين وده جسيو وغيرهم لامتحان طريقة مسمر وأعماله. فتأكّد أعضاء اللجنة بعد الاختبارات العديدة من مفاعيل المانيتسم، ولكنّهم أجمعوا إلاّ ده جسيو الشهير أنّ مصدر هذه المفاعيل هو الوهم والشعوذة. ولم يمضِ على قرارهم هذا ردح من الزمن حتى كان الماركيز ده بويزيكور قد اكتشف غرائب السومنامبوليسم التي قلبت وجه تلك الطريقة رأساً على عقب. على أنّ الفتن والقلاقل التي حدثت أيام الثورة الفرنسية وحروب الإمبراطورية الأولى كانت سبباً في إهمال هذا العلم فترة من الزمن ولم يعد ليظهر من جديد إلاّ في بداية رجوع ما يسمى بعهد الملكية المسى «الراستوراسيون» La Restauration.

وفي سنة ١٨٢٦ قام المجمع الطبّي بناء على طلب من الدكتور فواساك بامتحان جديد كان من نتيجته أنّ المجمع أصدر تقريراً

مسهباً كتبه الدكتور هوسون راعى فيه الإنصاف والدقّة وختمه باقتراحه على المجمع الطبّي أن يساعد وينشّط علم المانيتسم.

أمّا المنيتسم الحيواني فكان ينتشر في جميع أطراف فرنسا وغيرها رغم إهمال العلماء لأمره، وظلّ الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٨٧٨ يوم قام الأستاذ شاركو بإلقاء محاضرات ودروس متسلسلة في هذا العلم كان لها شهرة بعيدة في كل الأنحاء أظهر خلالها في بعض الذين جرى تنويمهم غرائب محسوسة من طراز جديد لا تدع مجالاً للغشّ أو الشكّ في حقيقتها مما جعل الناس يبدّلون معتقداتهم في هذا الأسلوب من العلاج. لأنه يوم وضح للناس ما كان خافياً عليهم رأينا الناس يقبلون على هذا العلم إقبالاً عظيماً، فينصرفون إلى دراسة أصوله ومبادئه. وما لبث المانيتسم أن صار حديث الناس في كل مكان. فكثرت الملاحظات والانتقادات ودار الجدل في كل مناسبة عن المانيتسم خاصة بعد سلسلة المحاضرات التي ألقاها الدكتور شاركو وأثبت فيها أنّ المانيتسم والهبنوتسم هما وجهان لحقيقة واحدة وإن اختلفت أصولها.

والملاحظة التي لا بدّ منها في هذا السياق أنّ العلاج المغناطيسيّ وإن أثبت صحته رجال من كبار العلماء والمدققين وممّن لا شك في صدقهم وخبرتهم، أن هذا العلاج هو كثير الوضوح والثبوت أحياناً، ولكنه كثير الغموض والإبهام أحياناً أخرى. فهو لا يصلح أن يكون أساساً لتجارب وأعمال يقام بها جهراً وعلى رؤوس الاشهاد كالنتائج العلمية الثّابتة التي لا تقبل الشكّ. بالإضافة إلى ذلك فإنّ طرق المعالجة كانت غالباً قليلة المشابهة خاضعة للمزاجية

بل كثيراً ما كانت قليلة الثبات حتى ليصعب على الإنسان أن يقوم بها على نسق واحد كلما أراد ذلك، وعلى العموم فهي قريبة من الغرائب المدهشة أو الشعوذة أحياناً حتى إنَّ إمكانية الغش فيها متوفرة مما جعل هذا الأسلوب في أكثر الأحيان سبباً في بقاء الحوادث دون تفسير مقبول. فكان الناس يميلون إلى إنكار هذه الأساليب العلاجية ويشكّون في نواتيا أصحابها مما جعل هذا العلم يقتصر على فئة قليلة من الناس الذي تحوم حولهم الشكوك وتكثر الريب والأقاويل، فكانت أخبار هذا العلم تقترن غالباً بالخرافات والأكاذيب وقلة الثقة التي تطال العلم وأصحابه.

المنوّم والتنويم

١ - الشروط اللازمة للمنوّم

التنويم المغناطيسي علم له نظرياته وحقائقه، وفن له أساليبه وطرائقه، فلا غنى لمن أراد ممارسته عن تفهّم أصوله والإلمام بها إلماماً كلّياً. وهو يتطلّب علاوة على هذا توفّر صفات معينة وتنمية قوىً خاصة تكفل لصاحبها النّجاح في هذا المضمار. فلا يمكن لكلّ شخص أن يقوم بعمل التنويم مع أن سائل المغناطيس موجود في جسم كلّ إنسان، ولكن بدرجات مختلفة بحسب طبيعته أو بحسب مزاجه العصبيّ وغيره. فمن الشروط الرئيسية التي يجب أن تتوافر في المنوّم أن يكون صحيح الجسم سليم البنية قويّ الإرادة ذا هيبة ووقار، صادقاً في أعماله ثابت القلب هادىء البال خفيف الحركة شديد الاعتقاد بالتنويم، واثقاً من نفسه ومن نجاحه. فكلّ شخص توافرت فيه هذه الشروط يمكنه أن يؤثر في الأشخاص الذين فيهم استعداد للنوم المغناطيسي فيناموا بعد استعمال إحدى الطرق التي ذكرناها: فإذا لم تنجح طريقة بعينها فلا بد من استعمال طريقة أخرى حتّى يتمّ النّوم.

٢ ـ صفات المنوِّم

نستطيع أن نؤكّد أنّ لكل أستاذ في علم التنويم طريقة خاصة به لأنّ كلّ شخص لا بدّ وأنْ يحدث بحسب طبيعته شيئاً من الإصلاح أو التبديل في القواعد والأصول المتّبعة. بيد أنّ أحسن الشّروط الأساسيّة اللازمة للمنوّم ليتمكن من أن يحدث في من ينوّمهم التأثير المطلوب هي أن تجتمع له الصفات الآتية: مزاج دموي لمفاوي مع صحة جيّدة، ومعيشة معتدلة لا أثر للإفراط فيها. كما يجب أن تجتمع له الصفات الأدبية التالية: ثقة تامّة في النّفس وفي هذا الفنّ، وذكاء وإرادة فعّالة. أما ضعيف الفكر والمشكّك في كلّ شيء فلا يستطيع أن يقوم بعمل مهمّ في هذا الفنّ لأنّ في أوّل شروطه صدق الاعتقاد والإرادة القويّة.

٣ ـ الشّروط اللازمة لنجاح عمليّة التنويم

لنجاح عمليات التنويم يقتضي أولاً الهدوء والصمت ولا سيا عند الابتداء ويجب أن يُختار للتنويم في أوّلَ الأمر حجرة بعيدة عن الضوضاء الخارجيّة غير رطبة وحسنة الهواء. وعلى المنوّم قبل الشروع في عمله أن يستجمع قواه ويوجه كلّ أفكاره وقوة إرادته نحو الغاية التي يقصدها. وأن يعتني بإبعاد كل الاهتمامات الخارجية عن مجال عمله. ومتى تمّ له ذلك يجعل الشخص المراد تنويمه يجلس أمامه ويطلب إليه أن يحذو حذوه فيخمد كل إرادة له وينزّه أفكاره عن كلّ غاية خارجيّة ويجلسه على كرسيّ مرتفع ذي مسندٍ يكون معه ظهره ورأسه مدعومين، ورجلاه مستندتين إلى الأرض

براحة. ثم يأمر الشخص أن يحوّل نظره إليه، ويحدّق في عينيه بدون انقطاع.. فيجلس إزاءه تماماً، ويضغط رجلي المنوَّم بين رجليه ويقبض على يديه بكلتا يديه واضعاً رأس إبهاميه فوق رأس إبهامي النائم. ثم ينحني فوقه حتى يكاد جبينه يلامس جبين الشخص ويغرق نظره في نظره بنشاط وقوة إرادة عظيمين.

وهذه الطّريقة لا بدّ وأنْ تجعل الشخص المراد تنويمه يضجر ولا سيما إذا كانت التجربة الأولى التي يقدم عليها المنوَّم، فيجب على المنوّم أن لا يهتمّ لضجر المريض أو تململه كذلك يجب عليه أن يبقى حازماً رزيناً هادئاً ساكتاً وأن يسيطر بنظره الثابت على المنوَّم. فإذا ثابر المنوّم على عمله مدّة خمس عشرة دقيقة أو عشرين على أبعد حدّ فإنّ تباشير النّعاس لا بدّ وأن تظهر على المنوَّم فيبدو عليه الاصفرار والتثاؤب واضطراب الجفون، وتقلّص الحدقة وانتشارها حتى يصل الأمر في بعض الأحيان إلى البكاء إذ تتعب العيون، وإذ ذاك لا يعود لمقاومة المنوَّم أي أثر. ولكن على المنوم حينئذ أن لا يملّ أو ينزعج أو تضعف عزيمته، بل عليه أن يضاعف الجهد حتى يرى الشخص المراد تنويمه قد زفر زفرة طويلة واستسلم إلى سلطان النعاس تماماً.

وعندما يصل الأمر إلى هذه المرحلة على المنوِّم أن يقوم ببطء دون أن يحوّل نظره عن النائم ويقف إلى جانبه لأن السّائل المغناطيسي الذي يتحرك فيه منذ عشرين دقيقة لم يعد يطلب إلاّ أن يمتد وينتشر. فعلى المنوِّم أن يرفع يديه فوق رأس النّائم محنياً

رؤوس أصابعه قليلاً ثمّ يمرّرها على هذا الشكل أربع أو خمس دفعات مبتدئاً من قمة الرأس نازلاً وراء الأذنين، ثم على طول الجبهة الخارجية، من الساعدين والرجلين من اليمين والشمال معاً. وكلما أتمّ دوراً يجب على المنوّم أن يرفع يديه على الطريقة التي أنزلها بها، أي من جهة المنوَّم دون أن يمرّرهما من أمامه.

وهذه العملية الأولى يجب أن تتبعها عملية ثانية بحيث يمرر بيديه أربع أو خمس مرّات من قمّة الرأس حتى الرّجلين متّبعاً جهة السّاعدين والرجلين الدّاخلية. وأخيراً على المنوّم أن يمرر بيديه أربع أو خمس دفعات أيضاً من أعلى الجبهة حتى آخر الوجه متمهّلاً متباطئاً أمام العينين والأنف والفمّ ومن مؤخرة الوجه حتى الرجلين. ومتى انتهت هذه الأعمال كلّها كان التنويم كاملاً.

ظواهر التنويم المغناطيسي

إنّ إغلاق الجفون هو أوّل تغيير عضلي يطرأ على النّائم نوماً مغناطيسياً ويتم تدريجياً أو بغتة، وكثيراً ما يكون مصحوباً بتشنّج عضلي. وتنغلق الجفون عادة بشدّة وقد يبقى جزء منها مفتوحاً فيظهر جزء من العين. وتظل الجفون عديمة الحركة أثناء التنويم أو ترتعش باستمرار. أمّا مقلة العين فتتحول إلى أعلى أو إلى اليسار على أن تعود إلى وضعها الطبيعي بعد انتهاء التنويم. وإذا بقيت العينان مفتوحتين أثناء النوم المغناطيسي فإنّ منظرهما لا يدلّ على أيّ تعبير داخلي.

- **التخشّب**: وفي بعض أحوال التنويم تكون الأطراف قابلة

للثني عند المفاصل، وتحتفظ بالمركز والوضع الذي يعطى لها. ويمكن إحداث التخشب (وهو حالة تكون فيها عضلات الجسم متوترة متيبسة متصلّبة) عند الأشخاص الذين اجتازوا الدرجة الأولى من التنويم. وتختلف درجة الانقباض العضلي، على أنّ منها ما يبقى سبع عشرة ساعة. وقد كان يُظن أنّ حالة التخشّب التنويمي خطرة ولكن الواقع أنّها خالية من كلّ ضرر.

ومن تجارب التخشّب الشائعة أن يُركّز رأس النائم على كرسيّ وقدماه على كرسيّ آخر ويبقى جسمه معلقاً في الفضاء ويجلس أو يقف عليه شخصان أو ثلاثة فلا ينثني جسمه.

• **الحركات المستمرّة**: وهناك تجارب يوحى فيها إلى النائم بأن يقوم بعمل معين أو حركة ما، كأن يطلب منه مثلاً أن يسوق حصاناً أو سيّارة أو يجمع ثمراً أو يحرك يديه حركة دائرية الواحدة حول الأخرى فيستمر في أداء العمل أو الحركة، ولا يستطيع أن يتوقف إلاّ بأمر من المنوّم. والإيحاء يزيد القوّة العضليّة لدى النّائم، فترى الضعيف يحمل أثقالاً لا قبل له بها وهو في حالة اليقظة. كما أنه يمكن إجراء عدّة تغييرات عضلية تحت التأثير المغناطيسي، وجعل النائم يكررها بطريقة أوتوماتيكيّة، وإذا طلب من النّائم مغناطيسياً أن يتخذ أوضاعاً جسمية غير مريحة فلا يبدو عليه أيّ أثر للإجهاد أو التعب. كما أنه يمكن الإيحاء إلى النائم بشلّ العضلات الإراديّة على أنّ هذا مؤقت ويختلف طبعاً عن الشّلل العضوي المرضي.

• **النبض**: يكون التنويم مصحوباً عادة بازدياد النّبض وهذا يرجع إلى الانفعالات التي يشعر بها المراد تنويمه في الجلسات الأولى ويمكن الإيحاء بازدياد النبض أو هبوطه.

• **التنفّس**: يمكن زيادة التنفّس بالإيحاء كما يمكن إبطاؤه أو وقفه بصورة مؤقتة. على أنّه قد يزداد عند الإيحاء إلى النائم بأنّه يقوم بمجهود عضلي شديد.

• **النزيف**: من المستبعد أنْ يحدث الإيحاء نزيفاً في الجلد أو الأنف إلاّ إذا كانت الأجزاء الجسمية النّازفة لها استعداد لذلك بسبب ضعف أو مرض سابق، أو كان الإيحاء الذاتي قويّاً جدّاً كما في حالات الذّهول الديني.

• **احمرار الجلد موضعيّاً**: يمكن الإيحاء إلى الشخص بأنّ حشرةً لدغته في مكان معين من جسمه فيحمرّ. وكذا يمكن إحداث التهابات موضعية بسيطة بواسطة الإيحاء. كما يمكن منع حدوث التهابات كان لا بدّ من حدوثها وهذه الالتهابات تشبه الكيّ البسيط على الجلد أو وضع حرّاقة عليه.

• **درجة الحرارة**: يختلف العلماء في صحّة التّجارب التي ارتفعت فيها أو انخفضت حرارة الجسم على أنّ في الإمكان خفض الحرارة أو زيادتها موضعياً.

• **الحيض**: نجح فوريل في التجارب التي أجراها على المريضات في إيقاف الحيض وإثارته بالإيحاء وتنظيم مدّته وكمّيته بإيحاءات مؤجّلة النفاذ.

• **حركة الأمعاء**: يوحى إلى النّائم بأنّ أمعاءه ستشتغل بعد عشر دقائق مثلاً، ثم يوقظ فينفّذ الإيحاء. وأمكن بالإيحاء إيقاف حركة الأمعاء عند أشخاص تناولوا مسهّلات قويّة.

• **التبوّل**: يمكن بالإيحاء معالجة صعوبة التبوّل وازدياد إفراغ المثانة. كما يمكن بالإيحاءات المؤجلة النّفاذ معالجة الأطفال الذين يبولون رغماً عنهم وهم نيام.

• **الدموع**: يمكن إثارة الإفراز الدمعي بالإيحاء إلى النّائم مغناطيسياً بحالة عاطفية أو انفعال شديد ومعالجة اضطراباته المختلفة.

• **الحواس**: إنّ الإيحاء يجعل الحواس يزداد عملها. فالبصر يمكن أن يزداد بالإيحاء إذ يستطيع النّائم أنْ يقرأ حروفاً صغيرة منعكسة على عيني المنوِّم يعجز عن قراءتها وهو بحالة طبيعية.

• **السمع**: يمكن بالإيحاء جعله حاداً. فقد نوّم الدكتور انهلدر حراس المجانين الهائجين في إحدى المستشفيات، وأوحى إليهم بأنّهم إذا ما ناموا ليلاً بجانب فراش المجانين لحراستهم، فيجب أن يكون سمعهم حاداً يستشعر حركة المجانين إذا ما أرادوا ترك فراشهم. فكان الحراس ينامون ولا توقظهم الأصوات الخارجية مطلقاً، بل أصوات المجانين فقط.

• **الشمّ**: تزداد قوّته أثناء التنويم لدرجة أنّ شخصاً نُوِّمَ كان يستطيع أن يتعرّف إلى صاحب القفاز إذا ما اشتم رائحة القفاز. ويستطيع النائم أن يتعرف إلى شخص معين بين عدّة أشخاص

بواسطة حاسّة الشمّ فقط.

• **الحسّ العضلي:** يمكن بالإيحاء زيادته لدرجة معها يستطيع النّائم مغناطيسيّاً أن يميّز بين الأثقال والأوزان ويقارن بينها مقارنة دقيقة جداً لا يستطيعها في حال اليقظة. وكذا يمكن زيادة البراعة في التوقيع على الآلات الموسيقية والكتابة وتصحيح الأخطاء المطبعية.

• **الحس الجلدي:** يمكن زيادته بالإيحاء، فيميز النّائم مغناطيسياً الفوارق الدقيقة بين درجات الحرارة ويتحسّس الضغط الجوي فيعرف الأشياء الموضوعة على بعد قليل جداً من جلد يده، ويسير في الظلام دون اصطدام، وإذا أوحي إليه بأنّ جزءاً معيناً من جسمه حساس فإنّه عند لمسه لمساً خفيفاً يتراجع تراجعاً ملحوظاً.

• **الشّهيّة:** يمكن بالإيحاء إيجاد شهية عند من يعانون في فقدانها. كما يمكن إيقاف عمل الشهيّة أو تقليله لأنّ الحواس قابلة للخداع الحسي والتضليل، فيمكن بالإيحاء أن يرى النّائم أشياء وهمية، ويخيل إليه أنّها تتحرّك وتعمل. أو لا يرى أشياء موجودة أو يراها على غير حقيقتها. أو يوحى إليه بأنّه رأى أشياء وعندما يستيقظ يعتقد أنه رآها حقيقة. ويمكن بالإيحاء إيقاف حاسّة الذّوق فيعطى للنائم منقوع خشب المرّ، وهو سائل شديد المرارة، أو كوب ماء مشبع بالملح بإيحاء أنّه شراب لذيذ الطعم فيشربه على هذا الأساس. ومع أنّ محلول الملح مقيّىء إلاّ أنّه يمكن

الإيحاء منع حدوث القيء. ويمكن بالإيحاء إيقاف حاسة الشمّ تماماً لدرجة يؤتى بزجاجة محلول قوي الرائحة وتوضع تحت أنف النائم فلا يبدو عليه أي تأثر ظـاهـر. ويلاحـظ أنّ خـداع الحواس وإيهام البصـر أيسر حدوثاً، والعينان مغلقتان لأنّ فتحهما قد ينهي حالة النّوم.

وينبغي التمييز بين التضليلات الحسيّة والهلوسات. فالتضليل يقع عندما يبدو شيء مغايراً لما هو عليه حقيقة. كأن يشرب النّائم كوباً من الماء المذاب فيه الملح معتقداً أنّه شراب لذيذ مستساغ. أمّا الهلوسة فهي إمّا إيجابية وتحدث عندما يوحى إلى النّائم بأنّه يرى أو يسمع أو يذوق أو يلمس أو يشمّ شخصاً أو شيئاً لا وجود له مطلقاً. فإذا أوحي للنائم بأنّ هناك هرّاً أو كلباً بالقرب منه فإنّه يتقدم لضرب الهواء في تلك المنطقة معتقداً بأنّ الحيوان المذكور موجودٌ حقيقة في ذلك المكان. وقد يُمثّل النائم دور السكران بعد شرب عدّة أكواب وهميّة من كحول وهمي. وأمّا الهلوسة السلبية فتحدث عندما ينقطع النائم - تلبية للإيحاء - عن الدراية بحضور شخص أو شيء هو في الحقيقة حاضر. وإذا ما أوحي إلى النائم بأنّه يركض للّحاق بالقطار فإنه - مع وقوفه في مكانه لا يتحرك - يلهث من جرّاء المجهود الوهمي. ويسمّى هذا النوع بالهلوسة الحركيّة. والإيحاء بمثل هذه الهلوسات له تأثير على تنفّس النّـائـم كما سجّلـت ذلـك الآلـة المسجلـة المسمّـاة «بالسيكوجراف».

ويلاحظ أنّه عندما يوحى إلى النّائم بأنّه قد أدرك القطار وأن

عليه أن ينام فإن تنفّسه يعود إلى الحالة العادية.

فقدان الحسّ: يمكن بالإيحاء جعل النّائم يفقد حسّه كلياً، فلا يعود يشعر بأي شيء على الإطلاق. أو يوحى إليه فقدان حاسة الألم فقط فيشعر بكل شيء إلا الألم، ويحدث هذا في العمليات الجراحية حيث يُستغنى عن استعمال المخدرات. وقد أجرى الدكتور أسديل ثلاثمائة عملية جراحية كبيرة وآلاف العمليات الجراحية الصغيرة حيث أوحى إلى المرضى بفقدان حاسّة الألم. وقد استخدم التنويم بنجاح في عدّة حالات لإحداث ولادة بدون ألم وضبط آلام الولادة.

● **الجوع والظمأ**: يمكن بالإيحاء إزالة الرغبة في الطّعام أو الشّراب ولا سيما في الأحوال المرضية. فيستطيع المريض قضاء مدة كبيرة من الزمن ممتنعاً عن الطعام دون ألم أو تضجّر. كما يمكن بالإيحاء إثارة الجوع والظمأ.

٥ ـ ملاحظات لمعرفة النّائم نوماً مغناطيسياً

يجب على المنوّم قبل أن يبدأ بالتجربة أنْ يمتحن الشخص النّائم عمّا إذا كان نائماً نوماً مغناطيسياً أو لا يزال مستيقظاً، فيبدأ المنوّم النائم هكذا: هل أنت نائم؟ هل أنت متألّم؟ هل تسمع كل ما ألقيه عليك من أسئلة؟ هل يمكنك أن تسرد لي كل ما في ضميرك؟ فإذا أجاب النائم على هذه الأسئلة التي تلقى عليه وكان هادىء البال، وبدون ملل ولا عناء طول المدّة مع ملاحظة

أن تكون عيناه مطبوقتين، والمقلة متشنجة وأعضاؤه خامدة، بحيث لو رفعت يده تسقط مثل يد الإنسان الميت، أو إذا وخزته بدبوس أو إبرة في أي نقطة من جسمه لا يتألم ولا يأتي بحركة ما، ولو سألته بعد أن توقظه على ما حصل له وأجاب بأنّه لا يتذكر شيئاً فذلك دليل على أنّ العملية كانت ناجحة للغاية.

ولكن إذا أجاب وهو متيقظ فذلك دليل على أنّه لم ينم، وإذا لم يجب فيكون في ابتداء دخوله في النوم المغناطيسي، فيجب على المنوِّم والحالة هذه أن يكرر هذه الأسئلة المتقدمة، وإذا لاحظت إشارات منه تدلّ على أنّه يسمعك فيجب أن تقطع سؤالك، وعليك أن تتمّم عمليّة التنويم التي بدأت بها إلى أن ينام نوماً مغناطيسياً مع ملاحظة العلامات المتقدمة. وبعد ذلك يمكنه أن يجيبك على كلّ سؤال توجهه إليه، ويخبرك بحقيقة الحالة التي هو فيها إذا كان مريضاً مثلاً يسرد لك النّقط الحقيقية التي كانت سبباً في مرضه والعلاج اللازم لشفائه كما يحصل في سائر العمليات.

ملاحظة مهمة

يجب على المنوّم أن يباشر عمل التجربة بغاية الصبر، ولا يكثر على الشخص المراد تنويمه من الأسئلة لأنّه يتألم منها، وينبغي أن لا تطرح عليه الأسئلة السرّية التي يخشى أن يسردها، وأن لا تذكر أمامه أموراً منافية للآداب العامة أو العادات غير المألوفة بقصد اللعب والاستهزاء مخافة أن يتبعها فيما بعد فتفسد أخلاقه، ذلك أنّ سلطة المنوّم على النائم عظيمة جداً حتى إنّك إذا أتيته بقطعة من

الملح، وأوحيت له بأنها قطعة من السكر أكلها بلذة وشهية وبدون اشمئزاز، مع ملاحظة أنّ مدة النوم تكون قصيرة، لأن كثرة النّوم تسبب أمراضاً تكون نتيجتها وخيمة على النائم، بل يجب على المنوِّم أنَ يكون له رغبة في إنقاذ النائم من دائه إذا كان مريضاً، ويجب أن يؤمر النائم بالاستيقاظ كأن يقال له مثلاً: «عند يقظتك تجد أنّ صحتك أحسن من ذي قبل، وقد صارت أعصابك قويّة وتحسّنت حالتك فلا تحسّ بألم، بل تكون بغاية الرّاحة والسرور». ويجب تكرار هذه الجمل ثلاث أو أربع مرّات، ثمّ يؤمر النّائم بالاستيقاظ لأنّ هذه الأقوال تؤثّر فيه تأثيراً عظيماً. وهذا هو الغرض الوحيد الذي يجب أن يتصف به المنوم الشريف والمحب للإنسانية وهو الغرض الذي وُضِعَ له علم التنويم.

٧ ـ حالات النّوم المغناطيسي

لكلّ شخص حالات من الشّعور تختلف عن الآخرين باستعداد الجسم لها أو حسب المزاج العصبي، وتتغيّر هذه الحالات بتغير المؤثّرات التي تؤثّر فيه. فالنّوم المغناطيسي له عموماً ثلاث حالات.

أ ـ الحالة الأولى

تسمى هذه الحالة «الكتالبسي» وهي الحالة التي يكون فيها النّائم نوماً مغناطيسياً فاقداً لجميع إحساسه، عديم الحركة صلب الجسم، وتبقى أعضاؤه على الحالة التي أبقيت عليها، ويكون حافظاً لشعوره عالماً ما يحدث له. وقد أجمع علماء هذا العلم عن هذه الحالة

أنّه عندما يحدّق النّائم بنظره على شيء لامع أو غير ذلك من الأشياء التي تجلب النعاس الاصطناعي، فأوّل حالة يكون فيها هي الحالة الأولى أي «الكتالبسي». وأهم شيء هو عدم التحرك، وتكون حالة النائم كالمندهش الذي يفتح عينيه محدّقاً في الشيء الذي يتقدَّم وتبقى أعضاؤه في الحالة التي يريدها المنوّم. فلو قيل له مثلاً: ارفع ذراعك بشكل مستقيم لرفعه دون أن يستيقظ. ولو أمرته بتحريك ذراعه طالعاً ونازلاً تراه يحركه كما أمرته بلا تعب ولا انقطاع، ولو استغرق ذلك نحو نصف ساعة أو أكثر. وفي هذه الحالة لا تظهر على الشخص النائم علامات أخرى من الانزعاج أو الرضى. أمّا كيفية إيقاظ النائم من تلك الحالة فهو سهل جداً إذ ينفخ المنوم على وجه النّائم قائلاً: استيقظ! قم! فيقوم النّائم فوراً.

ب ـ الحالة الثانية

تسمى هذه الحالة «الليتارجي» أو النوم المستغرق، وهي الحالة التي يكون فيها الشخص النّائم نائماً نوماً عميقاً، ويسمع فيها ويرى كل ما حوله ويميز الأشياء التي أمامه بدون أن يلمسها أو يراها ولا يأتي بأي حركة بدون أمر من المنوّم.

وتحدث هذه الحالة عندما يقفل المنوّم عيني النائم بعد أن يكون في الحالة الأولى «الكتالبسي». فإذا رفعت يد النّائم تراها تسقط بجانبه وكذا رجليه ورأسه كأنّه ميت، وهي في الحقيقة كالحالة التي يكون فيها الميت ظاهرياً ولا فرق بين الاثنين إلاّ بضربات القلب وبعض الأحيان تكون الضربات خفيفة جداً حتى يُظَنّ أنّ النائم قد

مات. وفي هذه الحالة يؤثّر المنوِّم على النائم تأثيراً يجعله طوع أمره في كلّ ما يأمر به حتى وإذا أمر المنوّم النّائم أن يعترف له بدين فإنَّه يفعل ذلك ويحرر عليه سنداً بذلك أو إنّه يعده بشهادة كاذبة أمام المحكمة لصالح تحقيق قضائي، أو يرغمه على كتابة وصيّة يتبرع فيها بماله لأناس بعيدين عنه لا حق لهم في إرثه، أو إفساد الشروط الأساسية أو التعهدات في العقود المدنية، أو الإيعاز إليه بارتكاب جناية في اليقظة أو غير ذلك في التعهّدات. وقد عرضت أمام المحاكم عدّة قضايا كان المتّهمون يعترفون أمام السلطات القضائية بأنّهم أبرموا وعوداً قطعوها على أنفسهم في حالات سابقة من النوم المغناطيسي.

جـ ـ الحالة الثالثة

أمّا هذه الحالة فتسمى «السومنامبوليسم» أي النوم الصوري أو «الروبصة»، وهي الحالة التي يقدر فيها النائم على التكلم والمشي وقضاء كلّ أمر يؤتمر به. وحين يستيقظ فإنّه ينكر كل شيء حصل له أثناء الروبصة، فلا يعود يتذكر شيئاً مما حصل له. أمّا طريقة إدخال النّائم إلى هذه الحالة أي السومنامبوليزم» من خلال الحالة السابقة أي «الليتارجي» هي أن يفرك المنوّم رأس النائم عندما يكون في مرحلة «الليتارجي» مدة دقيقتين أو ثلاثة فينتقل النّائم إلى مرحلة الروبصة أو «السومنامبوليزم».

وهذه الحالة كالحالة الاعتيادية إذا جاءت سهلة بحيث إنّ المنوّم يجب ألاّ يُجهد النّائم في الوصول إلى هذه الحالة لأنّ ذلك إذا

استغرق وقتاً طويلاً فربما ينتج عنه ضرر للنائم. لأنّ نتيجة الاجتهادات التي تستعمل لهذا الغرض تخالف التأثير المتّبع لمزية التنويم المغناطيسي فيجب حينئذٍ أن تترك الروبصة حتى تكون طبيعية في الشخص لأنّ معظم الأشخاص غير قابلين للدخول في هذه الحالة، ولا بدّ من تجنّب سلوك طريق المستحيل في هذا المجال. والمعلوم في التنويم أنّه لا يحدث إلاّ من تناقض إرادة النائم والمنوِّم وقد ذكرنا الشروط التي يجب توافرها في الاثنين لتتم العملية بسهولة ذلك أنّ الشخص القابل للتنويم ينام بسهولة وبأقل عناء وتراه من الوهلة الأولى يحصل له التنويم.

وقد يأتي النائم وهو في هذه الحالة أفعالاً مدهشة كأنه في اليقظة، وتفوق ما يأتيه الإنسان وهو مستيقظ. فنرى النّائم يتكلم بأفصح لسان، ويمشي وعيونه مفتوحة أو مغمضة وعند اليقظة يتنكّر لكل شيء قام به فلا يذكر منه شيئاً. وإذا أمرت النّائم أن يكون خطيباً فتراه يخطب كخطيب متمرس بلسان فصيح، وعبارة قوية وفي أي موضوع يختاره له المنوم. وإذا أُوحي إليه أنه مصوّر وأُعطي له أدوات التصوير فإنّه يرسم كلّ شي يطلبه منه المنوّم، فتراه يهبّ عن مقعده ويمسك أدوات التصوير كمصوّر ماهر حتى ينتهي من صنع الصورة التي طلبت منه. وكذلك لو قُدِّمت له قطعة من السكر وقيل له بأنّها قطعة من الملح فتراه يقربها من فمه ويشمئز منها ويلقيها على الأرض لأنه يجد في طعمها مرارة الملح وإذا قدّم له بعكس ذلك قطعة ملح وقيل له إنّها قطعة من السكر تراه يأكلها بلهفة وشهية كأنه يأكل سكراً. وإذا أعطيتَه ماء

صافياً وقلت له إنّه نوع من الشراب مثلاً، فإنّه يجد طعم الشيء الذي تسميه له في فمه متى تناوله.

وقد أظهر الجنرال «روشاس» بعد إمرار النائم بالحالات الثلاث للتنويم بطريقة «سلبترير» التي ذكرناها أنّه يصل إلى ما يسمّى حالة الارتباط التي لا يشعر فيها النائم إلاّ باللمس أو الصوت الآتيين من منوِّمه فقط، وذلك بواسطة تيار كهربائي أو مغناطيسي، وقد يشعر النّائم في هذه الحالة بنوع من السّعادة ويرى كأن هنالك سيلاً متدفقاً من المنوم. وقد يمكن التوسّع في هذه التجربة فيؤسس الارتباط بين المنوّم وأشخاص آخرين غير النائم يمكنه التمييز بين أحوالهم الباطنية بالنسبة لأحواله.

وهنا يجب على المنوم أن يراعي الآداب العامة وقواعد الأخلاق فلا يأمر النائم بعمل أي شيء مغاير للآداب لأنّها تؤثر على طبيعته تأثيراً عظيماً وتكون عواقبه غير محمودة.

٨ - طريقة إيقاظ النّائم

في الغالب إنّ طريقة إيقاظ النّائم المتّبعة عموماً بين أقطاب هذا العلم واحدة، والطريقة الشّائعة بين المنومين هي التالية: أن يمدّ المنوِّم يديه إلى صدغي النّائم ويصعد بهما شيئاً فشيئاً قائلاً له: استيقظ! استيقظ! كفى، كفى، أريد أن تستيقظ وآمرك أن تستيقظ. ويكرر ذلك القول مرّتين أو ثلاثة إلى أن يستيقظ.

وتوجد طريقة أخرى هي: أن ينفخ المنوم في وجه النائم قائلاً: استيْقظ، استيْقظ! أريد أن تستيقظ فاستيقظ. وعند قوله آخر

كلمة يصفق باليدين كي يتنبه النائم من نومه وبعد ذلك يروّح له بمروحة.

أما طريقة الدكتور محمد رشدي بك فتختلف قليلاً عن الطرق المذكورة، وهي من أسهل الطرق الحديثة حيث يوقظ المنوم النائم بأن يقول له: استيقظ ثم يضع يديه على صدغي النائم ويمرّ بإبهاميه على جفنيه عدّة مرّات، ويستحسن أن يكون الاستيقاظ تدريجياً بحيث يستغرق زمناً يسمح فيه للمنوّم بأن يعدّ عشرة أعداد عداً بطيئاً. وقد ذكر الذكتور محمد رشدي بك أنه يجب على المنوّم حتماً قبل أن يبدأ عملية التنويم أن يذكر أمام الشخص المراد تنويمه ما يلي: يلزمك أن تطيع أوامري وأنت نائم، وأن تستيقظ متى أمرتك بذلك.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ إيقاظ النائم أفضل من انتظار يقظته تلقائياً ومن نفسه، لأنّ ذلك قد يتأخر بعض الشّيء مما يحدث ارتباكاً وقلقاً وربما خوفاً في نفوس الحاضرين. ويكفي حسب بعض الخبراء في هذا المجال أن ينفخ على عينيه بلطف، ونفخة واحدة قد تكفي في الغالب، فإذا لم يستفق النائم يعاد النفخ مثنى وثلاث ورباع. أمّا إذا كان النّائم في حالة السومنامبوليسم فلا بدّ من أن يضاف إلى النفخ كلام يوحي بأنّ العمل قد انتهى كأن يقال مثلاً: «انتهى، استيقظ، يكفي» ولا ضرورة لرشّ الماء على النّائم ليستيقظ.

٩ ـ أخطار التنويم المغناطيسي

هناك سؤال طرح نفسه وما يزال في كلّ مكان وزمان وهو: « هل للتنويم أخطار؟ » ولا بدّ من الإشارة في هذا الميدان إلى أنّ العلماء ذهبوا مذاهب شتّى فيما يتعلق بالأخطار التي يمكن أن تنجم عن ممارسة التنويم المغناطيسي. فيرى البعض أنّ خطراً عظيماً ينجم عن الإيحاءات الرديئة التي قد يوجّهها المنوّم إلى من يقعون تحت تأثيره في حالة التنويم، وأهمّ ما يتهدّد هذا الخطر هو الآداب العامة والملكية الخاصة. ويرى البعض الآخر خلاف هذا الراي ويؤكدون تأكيداً شديداً بأنّه لا يمكن جعل النائم نوماً مغناطيسياً أن يعمل شيئاً من شأنه الإضرار بنفسه من الوجهة المالية، أو أن يرتكب شيئاً منافياً لميوله الأدبية التي تغلب عليه وهو في حالة الوعي الطبيعي. إننا لو سايرنا أصحاب الرأي الثاني في ما ذهبوا إليه من أن العقل الباطن للنائم نوماً مغناطيسياً يعمل على حمايته مما لا يتفق مع مصلحته المادية أو ميوله الأدبية فإنه تبقى أمامنا حقيقة لا يرقى إليها الشكّ، وهي أنّ الشخص الذي ينام مغناطيسياً عدة مرات لا بدّ وأن يقع تحت تأثير المنوّم إلى حد كبير. فاذا كان المنوّم يريد به سوءاً أو يرمي إلى الخيانة أو الأغراض الفاسدة فإنّه يجد دائماً الفرصة الملائمة لذلك، فيوقع النائم تحت تأثيره تدريجياً بحيث يسيطر على إرادته سيطرة تمكنه من إنفاذ أغراضه وغاياته. وما هذا التأثير الذي يجريه المنوّم في النائم نوماً مغناطيسياً إلاّ شكلاً مكبراً للتأثير الذي يجريه البعض في إرادة الآخرين وآدابهم في الأحوال العادية. فكم نرى في الحياة اليوميّة العاديّة من أشخاص

ذوي شخصيّة إيجابية ونفوذ قويّ وسلطان يسيطرون على آخرين ممن هم أضعف منهم عقلياً وأدبياً بحيث يجعلونهم يتنازلون لهم عن ملكية وحق وأشياء قيّمة دون ثمن أو في أبسط الأحوال دون مقابل عادل.

وهذا التأثير في الحياة العادية يظهر بوضوح أكثر ما يظهر في هؤلاء الأشخاص الذين يتمتعون بشخصية جذّابة يستميلون إليهم النساء كما يستميل الضوء الفراشات فيكون حظّ النّساء في معظم الأحوال كحظّ الفراشات في النّار. وإذا كان هذا مقدار ما يبلغ إليه التأثير في الحياة العادية وفي حالة الوعي الطبيعي فكم بالحري التأثير الواقع في حالة التنويم. فإنّ التأثير يكون بلا شك أعمق وأقوى وأبعد أثراً ومدًى، لأن حالة النوم المغناطيسي من شأنها أن تجعل فاعلية الإيحاءات أشد قوة وأنفذ مفعولاً. فقد يكون الشخص النائم حذراً بطبيعته وعقله الباطن يقوم بحمايته من أي تأثير ضارّ يراد إيقاعه به وهو في حالة النوم المغناطيسي، ولكنّه إذا نام نوماً مغناطيسياً عدة مرات فإنّ اعتماده على المنوِّم يزداد وثقته به تنمو تدريجياً حتى تبلغ حداً بعيداً، وكل ذلك يتم على حساب إرادة النائم وثقته بنفسه.

ومن المعروف أنّ النساء تزداد ثقتهنّ بمن يقعن تحت تأثيره الهبنوتيكي (التنويمي) بدرجة أكبر وسرعة أوفر. فإذا ما بلغت ثقة النساء بالمنوّم الخائن الحدّ الذي يمكنه من إنفاذ أغراضه الدنيئة أصبحن فرائس مقيّدة في حبائله الخسيسة. ومع عدم وجود قانون خاص بالتنويم، فإن المحاكم تجد نفسها مضطرة إلى ملاحقة المنوّمين

العابثين بأصول عملهم. وقد أصدرت إحدى محاكم الجنايات حكماً رادعاً على طبيب سوّلت له نفسه الاعتداء على خادمة لديه، وهي واقعة تحت تأثير التنويم المغناطيسي. وسجلات محاكم الجنايات حافلة بالأحكام الجزائية في هذا الباب.

على أن التنويم لا يخلو من أخطار متعددة لا بدّ من إلقاء الضوء عليها. فحين تتمّ عمليّة التنويم فإنّ أعضاء النّائم تصبح عديمة الحركة ،وقد تتشَدَّد أعضاؤه وعضلاته كتشدّد عضلات جثّة الميت، وقد تغور كرتا العينين وتجذبان ناحية الدماغ وعندها يجب أن يسأل المنوِّم الشخص النائم إذا كان يشعر بألم لأنّ هذه الحالة قد تكون خطرة، فقد تسبب بعض التشنجات العصبية أو تهيّج الأعصاب. بل قد تكون باعثاً لاحتقان الدماغ.

وهذه الحالات كثيرة الحدوث في الأشخاص الشديدي المراس الذين يصعب تنويمهم، ولا سيا إذا كانوا ينومون للمرّة الأولى. فإذا وجد المنوّم بعض المقاومة فعليه أن يكف عن متابعة التنويم ولا سيا إذا كان مضى على بداية العملية ما يقارب النصف ساعة ومتى شعر المنوّم أنّ النائم يشعر بأقلّ ألم عليه أن يبادر إلى إيقاظه. وإذا نوّم أحدهم بعض المرض فعليه أن يقلل من لمسه لئلا تسري إليه العدوى، بل ربما ينتقل إليه المرض ولو بغير ملامسة ولا مجال هنا لتفصيل الأسباب التي تؤدي إلى انتقال المرض من النائم إلى المنوّم.

وقد أورد « البارون پونه » بعض أخطار التنويم الأدبيّة نذكرها كما أوردها:

• إذا نوّمت أحداً وقلبك فاسد أفسدت قلب من تنومه وهي حقيقة أدبية كما أنّها حقيقة طبيعيّة.

• ومن الحقائق الراهنة التي سوف نعرفها بالاختبار أنّ رجلين من طبيعة واحدة في الظاهر، وقوة متعادلة، يعملان بطريقة واحدة في حالات متشابهة تماماً قد يحصلان على نتائج مخالفة، ولا ينطبق هذا القول على المانيتسم فقط، ولكنّه ينطبق عن كلّ فنون الطبّ وعلم التشريح أيضًا.

• يجب أن تكون يدا المنوّم نقيّتين من كلّ دنس مادي ومعنوي، وهذه حقيقة ثابتة لأنّ المشروب الصادر عن وعاء قذر غير نقي لا يمكن أن يكون جيداً، فقد يفعل فعله ويروي من الظمأ ولكن نتائجه لا تكون صالحة على المدى البعيد، بل قد تسمّم جسم الشّارب ولاسيما إذا تكرّرت المحاولة.

• لبعض الناس خواصّ مؤذية، وكثيراً ما لا ينتبه إليها إلاّ بعد فوات فرصة كان يمكن للإنسان أن ينتهزها فيدفع ذلك الأذى، وقد تأتيهم أحياناً على غير معرفة منهم ومن حيث لا يعلمون. على أن هذا التأثير لا يقتصر على المانيتسم وحده. فلو جعلنا أنفسنا خارج دائرة هذا الموضوع، وطرحنا بعض الأسئلة مثل: بأي سر يحصل اتحاد القلوب؟ فقد لا يشعر المرء إلا ببدء عمل الجاذبية: نظرة، أو يد تلمس يدك، أو كلمة عذبة تسمعها تكفي لأن تقرّر أشياء مصيرية، فتحبّ أو لا تحبّ لأن الفضيلة لا فعل لها في هذا المجال كذلك لا فعل للإرادة، فلا هذه التي تقرر

ولا تلك ولا العقل أيضاً له دور. إنه نوع من العارض العاطفيّ الذي يفاجئك ويسطو عليك، ولا سبب له ولا باعث إلا تنبّه الأعصاب التي تحدثه نظرات من عينين جميلتين أو رائحة لطيفة تنبعث من جسم لا يستطيع الإنسان أن يقاوم فعلها فيقلب سلوكه رأساً على عقب، ويحدث في حياته تغييرات على كافة المستويات والأصعدة. وإن لبعض النساء أو الرجال خاصة محزنة وهي أنّهم يؤثّرون في من يقع نظرهم عليه من الناس تأثيرات سلبية تهيج فيهم شهوة قوية، ولا يمكن تقدير المدّة التي يدوم فيها تأثير سحرهم في غيرهم.

إذا عاد كلّ واحد منّا إلى محيطه أو إلى ثقافته فإنّه لا شك واجد رجالاً من أعظم الرجال كانوا ألعوبةً في أيدي نساء حقيرات لم يكونوا يستطيعون أن يتخلصوا من سلطتهنّ، وكم من رجال كانوا ذوي سلطة لا تقاوم على نساء ذوات نفوس سامية فكانوا يقيّدونهنّ بسلاسل عبودية مخجلة، وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد على أنّ بعض المخلوقات تؤثر في من يحيط بها تأثيراً مؤذياً وإن كان غيرها ذا خواص معاكسة تماماً. وهذا ما يستطيع قابلو التنويم أن يميّزوه أحسن تمييز كما يميزّه المرضى أحياناً. وهذا ما يؤكّد أنّ الإبهام والغموض ما يزالان يسيطران على حياتنا من كل جانب.

وللدلالة على الأخطار الهائلة التي قد تتعرض لها تجارب التنويم إذا عملت للتلهّي ما كتبه أحد الخبراء في هذا المجال قال: «دعيت غير مرّة لأوقف وأسكّن نوبات عصبية هائلة من نوع غريب يستحيل على القلم أن يعبر عنها. وكان بدء هذه النوبات

أثناء أو عقب تجارب تنويمية أقيمت لمجرد التلهّي واللعب، وكثيراً ما كان سببها شبان شاهدوا أعمال التنويم فجربوا في بعض أصدقائهم على طريق التسلية ما تعلّموه بالنظر من هذه القواعد والأعمال. ولما كانوا يعتبرون عملهم أمراً لا أهميّة له، لم يكن يخطر لهم ببال أن حركاتهم وإشاراتهم يمكنها إطلاقاً أن تنتج شيئاً آخر لأنهم يجهلون علم المانيتسم. ولم يكن ظهور بعض العوارض المزعجة في بادىء الأمر لينبههم إلى الخطر المحدق بهم وبالشخص الذي ينوّمونه، بل كانت تلك العوارض تحثّهم أكثر فأكثر على متابعة عملهم ضاحكين من حركات النّائم، حتى إذا اشتدت الحركات والتشنجات فأصبحت على شكل غريب هائل، حلّ الخوف والجزع في أنفسهم محل الضحك واللهو، وجاءت حالة الاضطراب التي حدثت في نفس المنوم تزيد في نفس النائم تدريجياً إلى أن ظهرت فيه أعراض الجنون الشديد يرافقها الصراخ والهيجان والتشنج والولولة. وكانت الفرصة لاتباع طريقة أصولية قد فاتت ولا سيا أن إرادة المنوم القليل الخبرة كانت قد تشوشت واضطربت. فما العمل في مثل هذه الأحوال وكل شيء مشوّش مبلبل مختلّ؟ الحذر والنّدامة لا تفيدان في شيء إطلاقاً. إن الأطباء عاجزون في هذه الحالة عن القيام بأي عمل. ولو أنهم حاولوا كلّ المسائل التي يدل عليها الطب، فإنّ حالة الاضطراب والتشنج لا تزداد إلاّ امتداداً وتشويشاً. يتابع ذلك الخبير قائلاً: بادر حينئذٍ أنت الذي علمتَ القاعدة التي احتقرها البعض ورذلوها، أنت الذي حُذِّرت من أخطار ظنّوها لا توجد إلاّ في مخيلتك، إنّك

وحدك القادر على إعادة النّظام والهدوء إلى هذا الجسم، إنّك وحدك القادر أن يوقف هذه الحالة المحزنة التي تهدد العقل بالجنون المطبق. لا تذعر ولا تجزع. وقد تُبعَد كما يبعد سواك وقد يطردك النّائم ويزعجك ولكن اجهد أنْ تقترب منه مهما كلّفك الاقتراب من المشقّة والأذى لتؤثر بقوة أعصابك على دماغه الهائج. حاولْ أن تثبت يدك فوق جبهته ومُرْهُ بـالهدوء والسكـون، اعمـل بسلطة لا تقهر وثقة قويّة بالنفس ولكن أَبْعِدْ أولاً بأسرع ما يمكن المنوِّم الجاهل الذي سبّب هذا الاضطـراب. فليـذهـبْ وليبتعـد كثيراً، فإنك لا تستطيع شيئاً إلاّ بإبعـاده. وإذ ذاك يشعـر النـائـم بمفاعيل عملك النّافع المنظّم. ولكن عليك أنْ لا تذهب طالما ما زلت ترى في أعصاب النّائم تأثير السائل المغناطيسي الذي أتاه عن ذلك الجاهل المفتون. فاطرد ذلك السائل بإمرارات (Passes) تجمع فيها قواك تقوم بها من الرأس حتى القدمين طرداً وعكساً، أنفخْ بفمك على الجبهة، وأوقف النّوم وأيقظ النّائم. فإذا رأيته لا يزال يذكر ما جرى له فَأَعِدْ تنويمه لأنك إذا لم تنوّمه من جديد عادت إليه النوبات العصبية. ولكن متى تأكَّدَ لك أنّ ذكر ما جرى قد امحّى من مخيلته تماماً، فلا تقلق لما يتبع عملك من آثار التعب المؤلم والإعياء. إنّها دلائل حسنة، وقد تدوم يومين أو ثلاثة، ولكنَ لم يعد هناك ما يدعو إلى القلق على حالة النّائم، فإنّه لا يلبث أن يعود إلى حالته العقلية الطبيعية».

هذه إشارة إلى الأخطار الطبيعية والأدبية التي تحدث عن التنويم إذا حصل بغير اعتناء. وهذا نموذج عن تجارب التنويم التي يحاولها

بعض جاهلي هذا الفن، وقليلو الخبرة فيه. ويمكننا أن نضيف إلى ما ذكر أنه قد يتعرض المنوّم في بعض التجارب التي يجريها على أشخاص سريعي النوم إلى مشاهدة غرائب مزعجة، وإننا نذكر هذه الأمور لننبّه القراء الأعزاء إلى أن يعملوا بكل دقّة واعتناء إذا خاطروا مرّة وحاولوا أن ينوّموا أحداً للتجربة فقط. على أنّ هذا العلم إذا كانت أبوابه قد فتحت وبان ما كان منه غامضاً على الرغم من أخطاره العديدة الأليمة فإن الحذر ضروري حتى لا يترك مجال لأعداء هذا العلم من الاسترسال في ترداد الخزعبلات والأخطاء التي تنجم عنه والتي يسببها أشخاص دخلاء على هذا العلم وجاهلون لأسراره ومناهجه.

ولما كان مقدار القوة المغناطيسية الحيوانية كبيراً في بعض الأجسام أكثر من القدر اللازم كان من الضروريّ أن يعلم المرء كيف ينقصها أو يسهل جريانها من هذه الأجسام. فالإمرارات العرضية على قاعدة الجبهة تكفي في الأحوال العادية لينام النّائم. أمّا إذا أردت أنْ توقظه فعليك القيام بها على شكل آخر وذلك بأنْ تمر يدك الواحدة إمرارات سريعة بصورة أفقية مع النفخ بالفم على الجبهة والعينين والفم، أن تعمل ذلك بنشاط ليكون كمجرى دائم تسحب بواسطته السّائل إليك مع إرادة قويّة في إيقاظ النائم. وكلما أمررت يدك مرّة فاقلبها لتفرغها من السائل الذي علق بها. أمّا إذا رأيت أنّ عملك لا يأتي بالنتيجة المطلوبة فعليك أن تهزّ النّائم وأنت تأمره أن يستيقظ. فإذا لم ينجح هذا العمل كذلك فانضح وجهه بالماء البارد أو أنشقه أملاحاً حتى يستفيق. ومتى

رأيت أثناء هذه التجارب أنّ الرأس بدأ يصحو فيجب أن تعود إلى إمرار يدك مرات عديدة متتابعة. ولكن متى انفتحت العينان فابتعد عن النّائم لأن النوم قد يعاوده لا بملامستك فقط، بل لمجرد قربك منه. وقد تجعلك هذه الحالة في مركز حرج جداً وتسبب لك ارتباكاً، لأن بعض الأجسام تقبل السائل المغناطيسي وتتمسك به بشدّة فيصعب نزعه منها.

إذاً فهذه القابلية الشديدة للتنويم تقتضي بعض الدقة ولذلك نؤكد أنّه يجب أن نبعد عن المُنَوِّم كلّ ما يسبّب له ارتباكاً أو تشويشاً مؤذياً.

غرائب التنويم المغناطيسي

من غرائب التنويم المغناطيسي أنّه يمكن الإيحاء للشخص النّائم بأمر ما يكرر عمله بذاته عند اليقظة وهذه المسألة تترتب عليها أمور خطيرة للغاية نذكر بعض الأمثلة عنها:

زائرة غريبة

لقد حدث للأستاذ «ليجو» (وهو من فحول أساتذة مدرسة نانسي الحقوقية، وهو أوّل من لفت نظر القضاء إلى تحديد المسؤولية الجنائية في التنويم) أنّه نوّم امرأة نوماً مغناطيسياً وقد سبق له أنْ نوّمها قبل ذلك. فقال لها أثناء نَومها: «ستذهبين في خلال الأيام الأربعة المقبلة إلى سيدة معينة كانت حاضرة خلال التنويم فتجدينها جالسة بغرفة الطعام عندئذ تتجهين من تلقاء نفسك وتأخذين كوباً تملئينه شراباً ثم تطلبين من تلك السيّدة أن تشاركك بعضاً منه وقبل مغادرتك المنزل سترين ابنة صغيرة لابسة ملابس حمراء وخضراء غريبة المنظر وستضحكين على شكلها كثيراً.»

وفي اليوم التالي وصلت الرسالة الآتية للأستاذ «ليجو»: جاءت سيدة منزلي في الساعة الثالثة تماماً، فما وقع بصرها على ابنتي الصغيرة حتى قهقهت إذ كانت تبدو لها كأنها لابسة ملابس حمراء وخضراء، ثم جلست في غرفة الطعام وما لبثت أن وقفت وقالت: أريد أن أشرب قدحاً من الشراب، فاتجهت بعد ذلك لتسكب شيئاً من الشراب في قدح صغير، وسألتني أن أشرب معها وكانت تكرّر لي الاعتذار عن نفسها بأنّها لا تدري سبب حضورها ولا تستطيع تعيين الذي أرشدها إلى المنزل. وبينما كانت تتكلّم معي وقع نظرها مرّة ثانية على ابنتي الصغيرة فكادت تستلقي على قفاها من الضحك.

٢ ـ المجرم الوهمي

ونوّم أحد الأطباء السيّدة ذاتها للمرّة الثانية وقال لها أثناء نومها ما يلي: «عند يقظتك من نومك سترين شخصا قبيح المنظر داخلاً هذا المكان بحجة الرغبة في معالجة نفسه والحال أنّه لا يقصد إلاّ الإجرام بك وسيدنو هذا الرجل منك ليبيعك بثمن بخس ستة من سندات الخزينة سرقها من إحدى السيدات. فمتى طلب ذلك منك ارفضي طلبه مستنكرة فعله وهدّديه بإبلاغ أمره إلى البوليس حينئذٍ سيقول لك ذلك الرجل إنّ أحداً لم يقبل شراء السندات منه فلا مناص له من التخلي عنها، ثم يلقي بها فوق هذا الفراش وينصرف ولا بأس أن تأخذيها خوفاً من التصاق تهمة السرقة بك، لأنّه من واجبك أن تستودعيها عند أحد الناس أمام شهود، وبعد

عودتك إلى منزلك في اليوم نفسه تذهبين إلى دار البوليس وترفعين إليه بلاغك».

وما إن تنبهت السيدة من نومها حتى شرعت تنفذ الخطة التي رسمت لها، فإنّها رأت المجرم الوهمي الذي ذكره لها الدكتور وسمعته يقترح عليها شراء السندات، ثم عادت إلى منزلها وفي اليوم نفسه قبيل الساعة الرابعة توجهت لمقابلة مأمور البوليس (وقد علم الدكتور فيما بعد من المأمور ومستخدميه أنّ السيّدة جاءت لرفع بلاغ وأنّهم لم يلاحظوا عليها علامة خارجيّة تدعو إلى الشكّ في صدق قولها) وقالت باستعدادها لأداء الشّهادة بما عرض السارق المزعوم عليها من شراء السندات المسروقة.

٣ ـ مجرمة بريئة

ذكر أحد الأطباء الفرنسيّين وهو شابّ في مقتبل العمر أنّه نوّم صديقته، وأوحى إليها فكرة ارتكاب جريمة قتل، وقامت باقترافها فعلاً، فألقي القبض عليها، وسيقت إلى المحكمة وكاد الحكم يصدر بإدانتها لولا أنّ طبيباً آخر كان يهتم بأمرها اهتماماً كبيراً تدخّل لدى المحكمة، وأثبت أنّه قادر بعد تنويمها أن يكشف المجرم الحقيقي. فأقنع المحكمة بتأجيل الحكم لوقت قصير قام خلاله بتنويم المرأة حيث سردت وقائع الجريمة، وقامت بتمثيلها أمام أعضاء المحكمة. وكانت هذه التجربة سبباً لإقناع القاضي بعدم مسؤولية المتّهمة التي ارتكبت الجريمة، وبناء على ذلك حكم بأنْ لا وجه لإقامة الدعوى عليها. فلاحقت المحكمة المتهم الفعلي وألقت عليه القبض.

٤ ـ سرقة مردودة

حضر أحد الأطباء إلى زميل له من زعماء مدرسة نانسي للتنويم المغناطيسي، وأعرب له عن رغبته في مشاهدة تجربة تنويم يكون أساسها الإيعاز باقتراف جريمة، وكان أحد الأشخاص موجوداً في ذلك الوقت في عيادة الطبيب. فاتفق الدكتور الزائر مع الدكتور زميله على أن يوعزا إلى ذلك الشخص بارتكاب جريمة سرقة في ظروف تسمح لهما بمراقبته أثناء الشروع في السرقة. وكان أحد أصدقاء الدكتور الخبير بالتنويم المغناطيسي خارجاً في تلك اللحظة من عنده. فاتفق الطبيبان أن يجعلا ذلك الشخص المعتدى عليه بالسّرقة وأن يكتما هذا الخبر عنه كل الكتمان.

وقد جرى تنويم ذلك الشخص المتفق عليه حتى إذا نام نوماً مغناطيسياً قال له المنوم: « في الساعة الحادية عشرة من صباح الغد ستذهب إلى منزل فلان (المتّفق عليه بالاعتداء) الذي سيستقبلك في غرفته فإذا وقع نظرك فيها على تمثالين صغيرين فاستعمل المهارة والحذق في سرقتها وإخفائها تحت ثيابك، ولكنّك في اليوم التّالي لهذه السرقة سيأخذك الندم على فعلتك فتذهب فوراً إلى منزل المسروق، وترد إليه التمثالين في الساعة الحادية عشرة صباحاً ».

وبعد أيّام حضر إلى العيادة الرجل المسروق وروى على مسامع الطبيب ما وقع له في منزله غير عالم بما حصل من الإيعاز لأحد الناس بسرقته، وكان يبدو عليه الاستغراب والاندهاش. أمّا السّارق فقد وبّخه ضميره على ارتكاب السّرقة.

٥ ـ جريمة لا وجود لها

وفي سجلات محكمة استئناف باريس سنة ١٨٨٧ نقرأ الحادثة التالية: في منتصف الساعة عشرة صباحاً قبض رجال بوليس الآداب العامة على شخص لأنّه بقي لمدة ساعة كاملة في مبولة عامّة ارتكب اثناءها أفعالا منافية للآداب العامة. فلما سيق إلى مركز البوليس احتجّ ببراءته فلم يسمع له أحد، بل أرسل إلى المحكمة التي حكمت عليه بالسجن. والغريب أنه لما جيء به أمام القاضي كانت تبدو عليه علامات الذهول لدرجة أنّه بعد صدور الحكم عليه كان لا يتذكر أنّه عوقب بعقوبة ما. على أنّه عاد فيما بعد إلى صوابه فأبلغ رئيسه الذي كان يشتغل عنده وهو في الحبس ما اتفق له من الحوادث التي يؤخذ منها أنّه مصاب بمرض مزمن وأنّه كان في سنة ١٨٧٩ مستخدماً عند طبيب في مستشفى سان أنطوان، فأصيب بهذيان ليلي ويقظة أثناء النوم واتّضح للطبيب من حاله أنّ الغالب عليه المزاج العصبي فرأى أنّ ينومه تنويماً مغناطيسياً.

وقد استأنف المدعى عليه الحكم الصادر عليه من المحكمة الابتدائية، فَعُيِّنَ الدكتور الذي كان طبيبه في مستشفى سان أنطوان خبيراً من قبل المحكمة للبحث في أمره حيث أنّ المحكمة اشتبهت بأنّ جنحة هذا المسكين لم تكن إلا دوراً من أدوار المرض الذي هو مصاب فيه. وقد رفع الطبيب الخبير تقريره إلى المحكمة فترددت المحكمة في بادىء الأمر، ولكنها ما لبثت أن أصدرت حكمها ببراءة المتهم، وذلك بعد الوقائع التالية:

لما شرع الدكتور الخبير بتنويم المتهم بحضور رئيس المحكمة

والمستشارين استدعى المتهم وكان في غرفة الاتهام، فما كاد يسمع صوته حتى انحدر نحوه دافعاً أمامه الحراس بقوة، ثم فتح باب الغرفة حتى إذا صار على مقربة من الدكتور وقف دفعة واحدة مستقيم الجسم ثابتاً كالخشبة، وكان لا يعرف أحداً سوى الطبيب، ولا يرى غيره ولا يطيع إلا أمره. ولقد رغب رئيس محكمة الاستئناف التأكد من فقدان المتّهم لذاكرته ومن إصابته بمرض مزمن فطلب من الطبيب أن يأمره بفتح ثيابه كبنطلونه مثلاً فقال له الدكتور: اخلع ملابسك، فأخذ يخلع ملابسه بسرعة المجنون، ثم طلب إليه الرئيس أن يوحي إليه الدكتور السؤال التالي: «ما الذي فعلته في المبولة العامة»؟ فوجه الدكتور إليه السؤال ثم أوقفه أمام حائط فتناول منديله وقربه من الحائط وتحرك حركة من يمسح فمه وكرر هذه الحركة، وفي هذه الأثناء أيقظه الدكتور بنفخ هواء بارد في عينيه، فلما تنبّه عرته الدهشة من وجوده في هذا المكان فدنا منه الرئيس وقال له: لقد خلعت ملابسك أمامنا الآن، فأجاب لا أظنّ يا سيدي أنّي أجرؤ على هذا العمل. فقال الرئيس له: إنّ الحاضرين جميعاً رأوا ما فعلته ويكفي أن تلقي بنظرك على بنطلونك المفتوح ليثبت لك ذلك. فأجاب: ليس في ذاكرتي يا مولاي شيء من ذلك. فلما عقدت الجلسة أصدر رئيس المحكمة الحكم بإلغاء الحكم المستأنف، وبأنْ لا وجه لإقامة الدعوى على المتهم.

٦ ـ وصية كاذبة

أصدرت محكمة استئناف ليون بفرنسا في أول تموز سنة ١٨٩٦ قراراً ناقشت فيه مسألة التنويم المغناطيسي بمناسبة قضية رفعت أمامها بطلب إلغاء وصيّة. وقد رفضت محكمة ليون حل هذه المسألة بعد أن عرضت عليها، وإليك ملخص القضية:

في يوم ٢٣ أيار سنة ١٨٩٣ توفيت مدام «ماري جورجو» تاركة وصية بتاريخ هذا الشهر تتضمن هبات وهبتها المذكورة وما يلي:

(١) أعيّن وارثاً عاماً لي المسيو «انسلم جوف» القاطن بليون بشارع ترم نمرة ٥ على أن ينفّذ الهبات الآتية:

(٢) ـ أهب خادمتي «فيليسيا باليه» أرملة أوبير القاطنة معي مبلغ عشرين ألف فرنك بشرط أن تكون في خدمتي وقت وفاتي وأن تقوم بإطعام كلبي وأن تعتني بشأنه حتى يموت.

وقد طعن الورثاء في الشقّ الأوّل من هذه الوصيّة قائلين إن «انسلم جوف» كان ممن تعتريهم اليقظة حال النوم، وأن زوجته كانت تباشر استخراج طوالع الناس بواسطة ورق اللعب، وإنّهما كانا يلازمان صاحبة الوصية بمرضها الأخير بحجّة علاجها بالمغناطيسيّة.

وطعنوا في الشقّ الثّاني من الوصيّة متهمين «فيليسيا باليه» الخادمة بالاشتراك مع «جوف» وزوجته في تدبير الوسائل لاقتناص مال مدام «ماري جورجو» بقوّة الإيعاز والتأثير المغناطيسي.

وقد رفضت محكمة استئناف ليون الحكم في هذه القضية لأسباب متعددة، واعتبرت أنّها غير مؤهلة للنظر في أمر الوصية وبعد سلسلة من الحيثيّات اعتبرت المحكمة أنها لا يمكنها إزاء هذا الخلاف حسم النزاع في الموضوع المعروض عليها بدون أنْ يعروها شيء من الاشتباه واضطراب الضمير.

٧ - من هو المريض؟

قام الدكتور محمد رشدي بك بعملية تنويم مغناطيسي بحضور كثير من كبار رجال الحكومة وأعيان البلاد، وكان حاكماً على محافظة مصر، ويعتبر من كبار النابغين في هذا العلم.

ذلك أنّه نوّم سيدة نوماً مغناطيسياً، فنامت بعد قليل من العناء ثم أمرها بأن تقف وتجلس على كرسي معين كان خلفها ولم تكن تعرف مكانه من قبل. فقامت وهي مغمضة عينيها ومشت مشي السكارى، وجلست على الكرسي الذي أمرت بالجلوس عليه.

وهنا طلب أحد الحاضرين أن يسألها عن مرضه، وهل يشفى منه فأوقف الدكتور الحاضرين الواحد بجوار الآخر وبينهم الرجل الذي يريد السؤال عن مرضه ثم أمرهم أن يمدوا أيديهم نحو النائمة ففعلوا فطلب منها الدكتور ما يأتي:

س: آمرك أن تضعي يدك على كلّ يد ممدودة نحوك من أيدي الحاضرين وتخبرينا عن المريض منهم.

ج: وبعد أنْ جسّت أيديهم أمسكت بيد أحدهم وقالت: هذا هو المريض.

س: ما هو مرضه؟

ج: (بعد سكوت طويل): إنه مريض بالدوخة «الصرع». هنا تعجب الحاضرون لأنّه كان حقيقة مصاباً بهذا المرض كما قالت.

س: هل يشفى من هذا المرض؟

ج: نعم يشفى منه ثم أيقظها من نومها.

٨ ـ ماذا بداخلها؟

ونوّم الدكتور محمد رشدي المرأة نفسها للمرة الثانية بحضور اثنين من أشهر الأطباء الإنكليز وغيرهم وبعد التحقّق من نومها دار بينه وبينها الحديث التالي:

س: هل أنت نائمة؟

ج: نعم.

هنا طلب أحد الحاضرين من الطّبيب أن يقدَّم إليها علبة من الفضة كانت معه لتخبر ما بداخلها، وكان الحاضرون لا يعرفون ما تحتوي عليه فسألها الدكتور:

س: آمرك أن تمسكي بيدك هذا الشيء وتخبري عن نوعه؟

ج: (أمسكتها وقالت) هذه علبة سجائر.

س: قولي ما في داخلها؟

ج: فيها سجائر.

س: ما عدد السجائر؟

ج: ستة سجائر.

وقد طلب صاحب العلبة من الدكتور أن يسألها أيضاً عن شيء آخر كان بداخل العلبة مع السجائر.

س: ما هو الشيء الموضوع في العلبة مع السجائر؟

ج: شيء صعب عليّ قوله إنّه (فلوس) لا فضة ولا ذهب. فأخذ الدكتور العلبة من يدها وخرج مع الحاضرين إلى حجرة ثانية وفتحها فإذا فيها ستة سجاير وورقة (بنك نوت) قيمتها خمسة جنيهات. بعد ذلك أيقظها وسألها أن تقول ما أمرها به فقالت كلّ ما حصل.

٩ ـ خاتم وسفر

ونوّم الدكتور رشدي المرأة نفسها للمرة الثالثة بحضور بعض أطباء مستشفيات وزارة الأوقاف وفي أثناء نومها خبّأ أحدهما شيئاً في يده وطلب من الدكتور أن يأمرها بأن تخبّر بالشيء المخبأ في يده، فأمرها بذلك بعدما عرف الدكتور هذا الشيء لكي يصل التأثير منه إليها، ثم أوقف الأطباء الحاضرين وكلفهم أن يمدّوا أيديهم نحوها وهي نائمة فسألها الدكتور:

س: آمرك أن تمسكي بيديك أيدي الواقفين أمامك وتشيري إلى اليد المطبوقة على الشيء.

ج: هذه هي اليد المطبوقة على الشيء.

س: ما هو هذا الشيء الذي طبقت اليد عليه؟

ج: خاتم. وكانت الحقيقة كذلك.

ثم أمرها أن تضع يدها على يد أحد الدكاترة الحاضرين وتخبر ما في ضميره. فقالت: إنه يشاور نفسه قصد السفر (وكان الأمر كذلك).

١٠ - كم الساعة؟

ونوّم الدكتور رشدي المرأة نفسها للمرة الرابعة بحضور بعض رجال الحكومة وآخرين ليجرب ما إذا كانت تعرف كم الوقت بالساعة، فوضع على عينيها منديلاً مع أنّهما كانتا مغمضتين تماماً ثمّ أتى بساعة أحد الحاضرين ووضعها على جبهتها وسألها:

س: آمرك أن تنظري إلى الساعة بجبهتك.

ج: نعم نظرتها.

س: عرفي عن العقرب الصغير على أيّ عدد والكبير على أيّ عدد؟

ج: العقرب الصغير على عدد رقم «٥» والكبير بين «١٠ و ١١». ولما نَظَر إلى الساعة وجدها حقيقة الساعة الخامسة إلاّ ثماني دقائق ثم حرّك عقربي الساعة ووضعها على معدتها وسألها:

- انظري إلى الساعة بمعدتك وعرفي عن العقرب الكبير على أيّ عدد والصغير على أيّ عدد؟

ج: نظرتها.

س: عرفي كم الساعة الآن؟

ج: الساعة ستة وعشر دقائق (وكان هذا صحيحاً).

١١ - توقّف عن التدخين

نوّم الدكتور «شارلي» أحد الأطباء الإنكليز في بلدة «يورك» شاباً لا يتجاوز العشرين من العمر كانت عادة التدخين متمكنة منه أشدّ التمكن بحيث إنّه كان يدخّن ما يزيد على أربعين سيجارة يومياً، ونشأ عن ذلك أنْ تردّت صحته، وكان بعض أصدقاء الطبيب حاضرين في العيادة.

فلما انقضت دقائق على نوم الشاب حتى سأله الدكتور:

س: هل أنت نائم؟

ج: (بعد سكوت) نعم.

ثم أمره أن يمدّ ذراعه وأن تكون يابسة صلبة، ففعل. فسأل الدكتور أحد الحاضرين أن يقوم ويثني ذراع النائم، فقام أحد الأشداء من الحاضرين وأمسك ذراع النائم وأراد ان يثنيه فما أمكنه ذلك، ثم ساعده شاب قوي آخر من الحاضرين فما أمكنهما لأن الذراع كانت يابسة كالحديد. ثم أمره الدكتور أن يرجع ذراعه إلى حالتها الطبيعية. وأمره بالامتناع عن التدخين بشكل كامل لأنّ للتدخين رائحة كريهة منتنة للفم وعدّد مضار التدخين والأمراض الناشئة عنه.

ثم أوحى إليه أنّ الحاضرين أمامه ليسوا إلا مرضى مصابين بأمراض مختلفة فتاكة ناتجة عن التدخين، وقد حضروا جميعاً للمعالجة من آفة التدخين. وقام أيضاً بتشريح جثة وهمية أمامه ليظهر له الأضرار التي يسبّبها التدخين للجسم، فكان يتأثر من هول هذا المنظر، وتبدو عليه علامات الذهول والاندهاش، فوعده أن لا يعود للتدخين مرّة أخرى طوال حياته. وبعد أن أيقظه من النوم سأله الدكتور: هل تتذكر شيئاً مما جرى لك. فقال: إنّي لا أتذكّر شيئاً على الإطلاق. ثم قدّم له سيجارةً من أجود الأصناف فما كاد يذوقها حتى شعر لها بمرارة طعم فألقاها معتذراً.

وفي اليوم التالي وجد من نفسه هذا النفور ذاته من التدخين بعد أن أشعل سيجارة في بادىء الأمر فألقاها من يده، وأقلع عن التدخين بعد أن كان من أكبر المدمنين.

١٢ ـ دواء للسرطان

أصيبت فتاة فرنسية بمرض، وكانت ابنة أحد الأثرياء وقد عجز الأطباء الذين قاموا بعلاجها عن معرفة مرضها، إذ كانت تبدو وكأنّها مصابة «بدرن رئوي». وكان بالقرب من تلك المدينة طبيب كان يشتغل في ذلك الوقت بالتنويم. فلمّا ذهب والد الفتاة إليه أخبره أن ابنته مصابة بمرض لم ينجح أحد من الأطبّاء في معالجتها. فنوّم الطبيب أخت الفتاة المريضة، فنامت بعد برهة من الزمن، وراح يسألها الطبيب ما يلي:

س: هل أنت نائمة؟

ج: نعم نعم.

س: هل يمكن أن تشفى أختك من مرضها؟

ج: (بعد سكوت) نعم تشفى ولكن... آه... بعد زمن.

س: ما هو مرض أختك؟

ج: (شيء صعب) إنّها مصابة بسرطان في المعدة.

ثم أخذت النّائمة تشرح مرض أختها كأعظم خبير والعلاج اللازم لها، وأكّدت بوجوب فعل الاستئصال الكلّي للمعدة إذا كانت حالة المريض وحدود انتشار السرطان يسمحان بذلك. وذكرت أسماء عدّة جذور نباتية للعلاج من السرطان، واقترحت أن تكون المعالجة في بلدة في شمال فرنسا، ثم ذكرت أسباب مرض أختها. وحين انتهت من ذلك ذكرت أنّ والدتها ستلد بعد أسبوع من الزمن طفلاً ذكراً ولكنه سيموت بعد يومين من ولادته. (وكانت الحقيقة كذلك إذ إنّ والدتها وضعت بعد أسبوع من هذه الحادثة فتوفي الطفل بعد يومين كما ذكرت) أمّا الفتاة فقد قام الطبيب بعلاجها المذكور وعمل الاستصال المرسوم له. وفي مـدة ليست بطويلة تم شفاء الفتاة بعد أن فشل في علاجها كثير من أبرع الأطباء.

١٣ ـ معجزة

نوّم أحد الأطبّاء الأمريكان فتاة تدعى «كيت فوكس» للمرة الثانية، وذلك بمنزل أحد أصدقائه في شهر أذار سنة ١٨٨٧. وبعد

أن نامت مغناطيسياً أمرها أن تخبر بأشياء حصلت أو ستحصل لصديقه.

وبعد سكوت طويل قالت: كان يسكن هذا المنزل رجل ذو ثروة عظيمة، وقد ماتت امرأته منذ ثلاث سنوات تاركة له ولدين. وبعد وفاة الزوجة أرسل الزوج ولديه إلى كلية... وبعد مرور عام على وفاة الزوجة تربّصت له عصبة من اللصوص وهاجمت منزله بقصد السرقة. فتصدى لهم فقتلوه ثم حفروا له حفرة بجوار القصر على بضعة أمتار من الصالة الصغرى الموجودة بجوار القبو، ودفنوه فيها، وسرقوا ما وصلت إليه أيديهم، ولاذوا بالفرار. وقد أُبلِغَت الحكومة بالحادثة بواسطة ولديه اللذين حضرا من الكلية ليمضوا فترة العطلة مع والدهما بعد مرور عدة أشهر على مقتل والدهما. فتعجب صديق الدكتور من هذا الخبر، وكان في الحقيقة كذلك. فقال إنّه حقيقة حضر من الكلية لقضاء فترة العطلة مع والده فلم يجده بالمنزل. وقيل له بأنّ أحداً لم يشاهده من زمن. وعندها اتصل بالحكومة وأبلغها بالحادث. ثم أيقظها الدكتور من النوم وسألها: هل تتذكرين شيئاً مما حصل؟ فأجابت: إني لا أذكر شيئاً مطلقاً.

فاهتم بالأمر صديق الدكتور وكان ابن هذا الرجل الثري المغدور، فأحضر رجالاً، فحفروا المكان الذي أرشدت عنه «كيت فوكس» بحضور بعض من رجال البوليس، وبعد أن حفروا ستّة أقدام وجدوا جثة مدفونة بملابسها. وبعد أن أخرجوها ثبت أنّ الجثّة هي جثة الوالد، فكتب رجال البوليس

المحضر اللازم وطلبت المحكمة أن ينوّم الطبيب الفتاة مرّة أخرى ويسألها عن الجاني وأوصافه.

وفي اليوم الثّاني نوّم الدكتور «كيت فوكس» للمرّة الثانية وبعد أن نامت سألها أن ترشد إلى مكان الجاني وأوصافه. وبعد سكوت قليل كرّر عليها الدكتور السؤال مرّة أخرى فقالت:

«كان من ضمن موظفي معمل هذا الرجل شابّ اسمه فلان غير مستقيم السيرة فاسد الأخلاق سيّىء السلوك طرد من الخدمة لهذا السبب، فتردّد مراراً على المثري بقصد إرجاعه إلى وظيفته فلم يفلح. وأخيراً أرسل إلى المثري خطاباً في شهر كذا يهدّده بالقتل إذا لم يرجعه إلى وظيفته فلما كان اليوم التالي لهذا التهديد حتى تربص له بمنزله مع جماعة آخرين وقتلوه ثم دفنوه في هذا المكان».

فسألها الدكتور:

س: آمرك أن ترشدي إلى محلّ هذا الجاني.

ج: (شيء صعب) بعيد... قاطن في قرية... وسيسافر منها قريباً. ثم أيقظها الدكتور وعلى الأثر فتشت ملابس القتيل فعثر على الخطاب المرسل إليه بالتهديد بإمضاء... كما ذكرت النائمة فخابرت الحكومة جهة إقامة الجاني حسبما أرشدت «كيت فوكس» فقبضوا عليه وكان على استعداد للسفر كما ذكرت وسيق إلى المحاكمة ونال ما جنت يداه بعد مضي خمس سنوات من وقوع الجناية.

١٤ ـ محاضرة في الجامعة

ألقى الدكتور «سافيج» أحد أساتذة «جامعة كولومبيا» بأميركا محاضرة في التنويم المغناطيسي حضرها حشد كبير من طلاب الكليات الأخرى في أحد مسارح التمثيل فنوّم أحد الفتيات وبعد مضي خمس عشرة دقيقة نامت الفتاة فسألها:

س: هل أنت نائمة؟

ج: نعم. نعم.

فطلب الدكتور من أحد الحاضرين أن يصعد إلى المسرح ويكتب ما في ضميره على قطعة ورق، فصعد أحد الحاضرين وبيده ورقة وأعطى للنائمة ورقة مثله. وبدأ يكتب ما في ضميره بعد أن أمرها الدكتور أن تكتب مثل ما يكتبه هذا الشخص، وبعد برهة من الزمن عرض الدكتور كتابة الشخص المذكور وكتابة النائمة على الحاضرين فكانت مطابقة تماماً مع أنّ الكتابة كانت باللغة الفرنسية والنائمة لا تعرف هذه اللغة فاندهش الحاضرون لهذه المسألة.

ثم أمرها للمرة الثانية أن تنام على كرسيين بأنْ تضع رجليها على أحدهما ورأسها على الآخر ففعلت. ثم سأل أحد الحاضرين أن يصعد إلى المسرح ويقف على وسط جسمها.

فصعد رجل ذو جسم ضخم، ووقف على وسط جسمها فلم تتحرك ولم ينثنِ جسمها قطّ وقام بعدة حركات وهو على وسط جسمها فكانت يابسة صلبة كالحديد.

ثم أمرها للمرة الثالثة أن تقف وتثبت في مكانها، فقامت ووقفت كما أمرها، فطلب الدكتور اثنين من أشدّ الحاضرين أن يصعدا إلى المسرح ويحرّكا النائمة من مكانها، فصعد اثنان من أشدّ الحاضرين إلى المسرح وحاولا بكل قواهما أن يحرّكا النّائمة فما أمكنهما، وكان يثبان عليها من بُعد كي يدفعاها للحركة فكانت كالصرح الضخم جامدة لا تتحرك.

ثم أمر الدكتور الحاضرين أن يبدّلوا برانيطهم ببرانيط غيرهم وأن يجلسوا في مكان غير مكانهم، وبعد ذلك أمر النّائمة أن تنزل من المسرح وتعيد البرانيط إلى أصحابها وتجلس الحاضرين في مكانهم الأول. وبعد دقائق معدودة نزلت النّائمة واخترقت صفوف المتفرجين وأعادت البرانيط إلى أصحابها والنّاس إلى أماكنهم الأساسية وانتهت المحاضرة وانصرف الجمهور إلى بيوتهم.

قضية ارتكاب جناية بالتنويم الغناطيسيّ (*)
(بالقاهرة)

في يوم الأحد ٦ يوليو سنة ١٩١٣ م أي ٣ شعبان سنة ١٣٣١ هـ الساعة ١١ والدقيقة ١٥ صباحًا اتّهم (.K) أحد أطباء مصر (.F) بأنه كان ينوِّم ابنته التنويم المغناطيسِي، ثم أساء إليها وهي في حالة النّوم المغناطيسِيّ، فاهتمت النيابة العمومية بهذه التهمة اهتمامًا شديدًا لأنّها إذا أثبتت كانت من المصائب الكبيرة التي يجب أن

(*) عن علم التنويم المغناطيسيّ وعجائبه.

يجلّ عنها حضرات الأطباء واستحضرت المجني عليها وسألتها عن صحة التهمة فأنكرت ثم أمرت النيابة الطبيب المتهم أن ينومّها التنويم المغناطيسي ويسألها عن صحة التهمة فأثبتت صحّتها وشرحت كلّ الأمور التي أجراها معها. وبعدما أيقظها سئلت عن أقوالها واعترافها وهي نائمة فأجابت أنها لا تعرف شيئًا مطلقًا مما قالته وأنها لا تتهم أحدًا ولا تعرف من ارتكب الجناية بها، فطلبت النيابة من حضرة العالم الكبير والنطاسي الشهير الدكتور محمد رشدي بك حكيمباشي محافظة مصر الكشف عنها فكشف وأثبت بتقريره النتيجة الآتية:

من قول المجنيّ عليها وقول والدها وحالة أعضاء تناسلها الآن ومزاجها العصبي تقرر أنّ المجني عليها ضعيفة الإرادة ضعفًا خلقًا وراثيًا وأعني بهذا أنها مستعدّة للتأثير بالتنويم المغناطيسي بحيث تكون طوعًا لإرادة المنوّم ويستدل من حالة كذا... وكذا... إزالة... منذ شهرين تقريبًا وجرى كذا... ولا يمكن الحكم في ما إذا كانت... من عدمه فيعاد الكشف عنها.

فانتدبت النيابة حضرة الفاضل الدكتور محمود بك ماهر نائب الطبيب الشرعي لإعادة الكشف عن المجني عليها والكشف عن المتّهم فكان كذلك، وقرر بكشفه صحّة ما قاله حكيمباشي محافظة مصر عن المجني عليها وزاد على ذلك إصابتها بمرض معد... ثبت إصابة المتهم به.

وفي يوم ٢٠ يوليو سنة ١٩١٣ انتدب حضرة كامل بك

وصفي وكيل النيابة حضرات الدكتورين المذكورين لتنويم المجني عليها المذكورة أمام النيابة لسماع أقوالها وهي نائمة على قبول الاستدلال، فأجابا الطلب ونوّماها وأمراها أن تقول الحقيقة عما تسأل عنه ولا تكذب في أقوالها وأن لا تكون متأثرة من الغير ودارت المحادثة بحضور حضرة وكيل النيابة وحضرة الدكتور محمود بك ماهر الذي أثبت لحضرة وكيل النيابة أن المجني عليها منوّمة نومًا مغناطيسيًا حقيقيًا فذكرت ما جرى لها كما ذكرت ذلك لمّا نوّمها المتّهم، فأمر وكيل النيابة بإيقاظها وسئلت عما حصل لها وما قالته وهي نائمة فأجابت بأنها لا تدري ولا تعرف أحدًا.

وخلاصة القول أنها نسيت كل ما قالته وهي منوّمة واستمرّ التحقيق مع المتّهم والمجني عليها ووالدها والشهود لغاية ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٣ فأصدرت النيابة تقريرها الآتي:

تقرير اتّهام ضدّ المتّهم

مقدم من النيابة العمومية لحضرة قاضي الإحالة في محكمة مصر الأهلية في قضية الجناية نمرة (٥٠) سائره قسم الموسكي.

المتهم (ف. F) وصناعته طبيب وعمره ٥٦ سنة مولود بدمشق الشّام وساكن ببركة الرّطل باب الشعريّة.

بأنه في أوائل مايو سنة ١٩١٣ بجهة بركة الرّطل.

واقع البنت (آ. A) بغير رضاها بأن نوّمها تنويمًا مغناطيسيًا وكانت له سلطة عليها بكونه سيدها.

وبناء عليه يكون قد ارتكب الجريمة المنصوص عنها في المادة (٢٣٠) من قانون العقوبات وصورتها:

في هتك العرض وإفساد الأخلاق

(٢٣٠) من واقع أنثى بغير رضاها يعاقب بالأشغال الشاقّة المؤبّدة أو الموقتة فإذا كان الفاعل من أصول المجني عليها أو من المتولين تربيتها أو ملاحظتها أو ممن لهم سلطة عليها أو كان خادمًا بالأجرة عندها أو عند من تقدم ذكرهم يعاقب بالأشغال الشاقة المؤبدة.

لذلك

تطلب النيابة العمومية من حضرة قاضي الإحالة أن يحيل هذه القضية إلى محكمة الجنايات للحكم فيها حسب المادة السابقة الذكر.

رئيس نيابة مصر

صورة محضر الاحالة

في يوم الاثنين ٢٧ اكتوبر سنة ١٩١٣ (٢٧ القعدة سنة ١٣٣١) بمحكمة مصر الأهلية بمعرفتنا نحن عبد العزيز بك محمد قاضي الإحالة بمحكمة مصر الأهلية وبحضور حضرة بيومي بك نصار وكيل النيابة والكاتب سليمان أفندي علي.

تقدمت قضية النيابة نمرة (٥٠) سايرة الموسكي سنة ١٩١٣ و(٥٠٤) إحالة سنة ١٩١٣ المتهم فيها المذكور.

الدكتور (ف. F) ونودي عليه فحضر ومعه حضرة محمد بك أبو شادي المحامي.

سئل المتّهم الأسئلة الآتية:

القاضي - كيف نَسَبَتْ إليك الابنة هذا الأمر؟

المتهم - هي نسبته وهي نائمة.

القاضي - قلت أنت أنّ النوم المغناطيسي يكشف الغيب فيجب أن يكون كلام الابنة على رأيك أنت صحيحاً.

المتهم - هي قالت هذا الكلام وقالت إنّني قلت لها بواسطة جنية وأن امرأتي كانت تتفرّج علينا وإني واقعت بنات أخرى وأين هنّ؟

القاضي - ومن أين أتى لها المرض المعدي؟

المتهم - أنا حقيقة أُصبت بهذا المرض ولكن هذا الأمر حيّرني جداً ولا أعلم من أين أصابني ولما سجنت عولجت وشفيت منه ولما أفرج عني ونمت مع زوجتي عاد إليّ مرة أخرى فاستغربت حتى أنّني اشتبهت في زوجتي وزعلتها وانفصلت عن مخالطتها، فقالت لي (يمكن الفوط بتوعي اللّي لبستهم البنت انعد وعدُوني).

مرافعة حضرة محمد بك أبو شادي (أمام حضرة قاضي الإحالة)

هنا قال حضرة أبو شادي بك أطلب تحقيق مسألة المرض بسؤال زوجة المتهم لأن المتهم طبيب ولا يعقل أن يصاب هو

وزوجته بالمرض... وأطلب رؤية المجني عليها زوجة المتهم ليعلم حضرة القاضي أن هذه الزوجة تعتبر من الجميلات اللاتي تُغني عن النظر إلى غيرها. والإثبات في القضية يرجع إلى قول الابنة وهي نائمة وحضرة نائب الطبيب الشرعي قال إنّ الطبّ لم يثبت للآن صحة ما يقوله النائم. ولماذا لا يقال أن الابنة نوّمت وأُمرت بأن تتهم المتهم كلما سئلت وهي نائمة والابنة تقول إن الفعل حصل أمام زوجته وفي وجودها وفي هذا القول ما يدل على عدم صحة الدعوى بالمرة والذي يدهشني هو الوصول إلى سبب الاتهام فإما أن يكون هناك تسليط أو غيره ولذلك أطلب التقرير بأن لا وجه لإقامة الدعوى عليه ومن باب الاحتياط أطلب إبقاءه مفرجاً عنه.

مرافعة النيابة أمام حضرة قاضي الإحالة

النيابة صممت على طلباتها.

بناء على ذلك قرّر حضرة قاضي الإحالة إحالة المتّهم على محكمة الجنايات.

صورة قرار الإحالة

نحن عبد العزيز بك محمد قاضي الإحالة بمحكمة مصر الأهلية.

بعد الاطلاع على تقرير الاتهام المقدّم من النيابة العمومية في قضية الجناية نمرة (٥٠) سايرة الموسكي ونمرة (٥٠٤) إحالة سنة ١٩١٣.

وعلى أوراق القضية المذكورة وبعد سماع الإيضاحات التي رأينا

لزوم طلبها من النيابة العمومية ومن المتهم ومحاميه والاطلاع على المادة (١٢) من قانون تشكيل محاكم الجنايات.

قرّرنا

أولاً - إحالة المتّهم على محكمة جنايات مصر المحدّدة لانعقاد دورها يوم أول دسمبر سنة ١٩١٣ لمحاكمته بمقتضى الفقرة الثانية من المادّة (٢٣٠) من قانون العقوبات على التهمة الموجهة إليه وهي: - أنه في أوائل مايو سنة ١٩١٣ بجهة بركة الرطل واقع البنت (آ. A) بغير رضاها بأن نوّمها تنويماً مغناطيسياً حالة كونه له سلطة عليها بصفته سيدها.

ثانياً - تكلف النيابة العمومية بإعلان شهود الإثبات المذكورين في القائمة منها.

صدر هذا القرار بمحكمة مصر الأهلية يوم الإثنين ٢٧ القعدة سنة ١٣٣١ و٢٧ أكتوبر سنة ١٩١٣ وعلى الكاتب إعلان المتهم
قاضي الإحالة.

محكمة جنايات مصر
محضر

في الجلسة التي عقدت يوم الأربعاء ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ الموافق ٦ محرم سنة ١٣٣٢ تحت رئاسة حضرة محمّد توفيق رفعت بك.

وحضور حضرات عبد الحميد رضا بك ومستر برسفال

المستشارين في محكمة الاستئناف الأهلية وكامل وصفي بك وكيل النيابة ومحمود الحلبي أفندي سكرتير الجلسة.

قدمت قضية النيابة العمومية نمرة (٥٠) سائرة قسم الموسكي المقيدة في جدول المحكمة تحت نمرة (٥٠٤) سنة ١٩١٣.

الدكتور (ف. F) عمره ٥٦ سنة طبيب مولود بدمشق ومقيم ببركة الرطل المتهم بأنه في أوائل شهر مايو سنة ١٩١٣ في جهة بركة الرطل واقع الابنة (آ. A) بغير رضاها بأن نوّمها تنويماً مغناطيسياً وكانت له سلطة عليها بكونه سيدها.

وبندائها حضرت والمتَّهم ومعه حضرة محمد أبو شادي بك المحامي وحضر الشهود، ووضعوا في القاعة المعدة لهم. سئل المتهم عن اسمه الخ.

تلا سكرتير الجلسة أمر الإحالة.

وطلبت النيابة عقاب المتهم بحسب المادة (٢٣٠) من قانون العقوبات. سئل المتهم عما نسب إليه فأنكر وقال إنَّ هذا الأمر لا يفعله من هو مثلي.

س: للمتهم متى جاءت عندك؟

ج: بعد شمّ النسيم.

س: كم يوماً قعدت عندك؟

ج: ما قعدت وإنّما كان أبوها يحضرها نحو عشرة أيّام أو اثني عشر يوماً، وأحضر أبوها ملابسها بعد ذلك وقال لها الأحسن أن

تنامي هنا، وأوصى قرينتي بها وجرى بعد ذلك كلام بيني وبين أبيها.

س: ماذا قلت لهُ.

ج: قلت له الأحسن أن تترك لابنتك عشرة قروش يومياً لاحتياجاتها فلم يقبل، وقال أمّا مسألة الزواج فالبنت غير راضية عنه وأخذ الفلوس فلمّا ذهب أبوها سألتها لماذا لا تريدين الزواج؟ فسكتت في أول الأمر ثم قالت: إنّ هناك سبباً يمنعني. فسألتها عنه فقالت: لا أريد أن أقوله. فقلت لها: لأيّ سبب؟ قالت: أنا كنت ألعب بالحبل على السطح فوقعت على خشبة أزالت بكارتي. فقلت لها: إنّ هذا الكلام لا يعقل لأنك لو وقعت على خشبة لمزقت لحمك وهدومك، ولنزل الدم منك فقولي كلاماً يعقل. قالت: أقول لك إنّني لا أريد أن أقول الحقيقة. فقلت لها: ربما كان أحد من أهلك قد وعدك بأنه سيتزوج بك وضحك عليك. قالت: لا وهل تحلف يميناً أنك لا تقول؟ فقلت لها: أحلف لك يميناً. فقالت: كنت نائمة في البيت فرأيت واحدة كتّفتني ومُنعتُ عن الحركة والنطق وأربعة رجال واقفين أمامي. وقالت: هؤلاء من الجنّ وأزال واحد منهم بكارتي ثم واقعني الثلاثة الآخرون وكل ثلاثة أو أربعة أيام كانوا يأتون على هذا الترتيب وصاروا يغيبون ليلتين ويحضرون أربع ليالي.

س: هل التي كتفتها كانت حاضرة الأمر؟

ج: طبعاً، ما دامت مكتفة لها.

س : هل المرأة جِنّية ؟

ج : بالضرورة وهذه أقوالها . فقلت لها : إنّ الكلام لا يصدق.

س : متى حكت لك الحكاية ؟

ج : في آخر المدة قبل خروجها بعشرة أيام.

س : متى قالت لك إن الجان أتتها ؟

ج : في أثناء وجودها عندي قبل عشرة أيام.

س : وهل قالت لك متى حصلت لها هذه المسألة ؟

ج : منذ سنتين ولما قالت هذا الكلام قلت لها انتِ تضحكين على عقلي، ويظهر أنك مرافقة أحد الناس (ومش عاوزه) أن تقول اسمه والواجب أن أخبر أهلك.

س : هل كشفت عليها ؟

ج : لا وكان أبوها في أثناء هذه المدة يتردد علينا في البيت فقلت له يوماً إني اكتشفت سراً في ابنتك فانتظر يومين أعلمك به.

س : ولماذا أجَّلتَه يومين ؟

ج : حتى أعرف منها الحقيقة ؟

س : هل كنت تريد تعرف إذا كان الجنّ تأتي إلى إنسان ؟

ج : أيوه (نعم).

س: هل هذا من علم الاسبيريتزم؟

ج: علم روحاني.

ثم قال: وبعد ذلك نزلت أسأل عن الحال من العلماء في الأزهر أو المحكمة الشرعية، فقابلت الشيخ عمر عبد الوهاب وهو عالم كبير وكان ساكناً في المرج قبلاً ولا أعلم الآن مكان سكنه وقابلته في القهوة هو والشيخ أحمد أبو الحسن من كفر أبو شين وثلاثة آخرين معهما فسألتهم أصحيح أن الإنسان يواقع الجنّ وبالضد؟ فقالوا يجوز عندنا أنّ الأنس يواقعون نساء الجنّ وليس العكس. فسألت علماء آخرين حتّى في المحكمة الشرعية فوجدت أنّ المحكمة الشرعية الإسلامية تُجَوِّز لغاية الآن عقد نكاح ذكور الأنس على نساء الجنّ ويمكنكم أن تسألوا عن ذلك على أنني لم أتمكن من معرفة الحقيقة لتضارب الأقوال فسألتها ثانية وأخّرت إخبار الوالد ونصحتها وقلت لها: أنتِ مثل بنتي وأنا أستر عليك. فلم تذكر كلام آخر بالمرة.

وعلى ذلك قلت لها ما دمت لا تقولين الحقيقة فسأُظهر المسألة. فبكت وقالت لي: الحق عليّ لأنني قلت الحقيقة. فقلت لها: سأدعك تصلّين الليلة وآتي لك بالأيقونة وهي صورة كبيرة ثم سألتها هل الأربعة يأتون إليك إلى الآن فقالت: إنَّ الذين يأتون الآن هم اثنان فقط. قلت لها: صلّي الليلة وضعي الأيقونة على رأسك وفعلاً حصل. ففي الصباح قالت لما جاؤوا ورأو الأيقونة هربوا.

س: هل الأيقونة في منزلك من قبل؟

ج: أيوه (نعم).

س: لماذا يدخلون الآن منزلك وهي فيه؟

ج: أنا عملت هذا من نوع الامتحان والتجربة وقد عملت ذلك أربعة أيام وكانت كل يوم تقول أنّهم يهربون من الأيقونة.

س: كيف تعرف ما إذا كانت صادقة أو كاذبة؟

ج: أنا أعلم وإنّما من تنويمها وإلى خامس يوم بعد التجربة جاء أبوها مريداً أخذها وقال أولاد خالتها حضروا.

س: وكم يوم منذ إخبارك إلى يوم مجيء أبيها؟

ج: كل هذا حصل في العشرة الأيام الأخيرة. ولما طلبها قلت له: علشان إيه فقال أولاد خالتها حضروا من السفر وحينما يذهبون ترجع فالابنة توقفت فسألني عن السر فقلت له أنا أقول الآن. بنتك قالت لي إنها وقعت على خشبة ثم الجنّ (الحكاية) وقلت له يجب أن تأتي لها بطبيب أو داية يراها وتكشف عنها. فقال: لا، أنا لا تهمني إزالة البكارة وعندي دواء يرجعها وهو مجرَّب.

س: ألم تعرض عليه أن تكشف عنها؟

ج: لا، وليس لي شأن ثم قال لي أنا (عيان) فكشفت عنه ورأيت لسانه وسخاً وقلت له اشرب شربة وهذا آخر الحديث بيننا.

س: هل أتيتَ ببنته أمامه وقلت هذا الكلام؟

ج: لا ولا النيابة عملت ذلك.

س: في أثناء العشرة أيام نوّمتها ؟

ج: كل يوم وكلامها فيه واحد.

س: ما الفائدة من كونك أحضرتها لتنويمها في الأول؟

ج: بعض الأمراض تستعصي على الطبيب والتنويم يظهرها.

س: هل تعتقد بالتنويم؟

ج: منهم من يصدق ومنهم من يكذب.

س: ما العلامة على الصدق والكذب ؟

ج: البرهان.

س: كم مرة صدقَتْ وكم مرة كذبَتْ؟

ج: لا أقدر أن أحصرها وكذبها أكثر من صدقها.

س: هل إذا كان الشخص يكذب ويصدق أممكن جعله لا يكذب أبداً ؟

ج: مع كثرة التمرين والاستعمال أحياناً يعدل عن الكذب.

س: كم مرة مثلا تكررّ ذلك ؟

ج: مش زي بعض.

س: والبنت عدلت عن الكذب؟

ج: في أواخر أيامها كانت دائماً تكذب.

س: لما تشخّص مرض تخطىء وهذا ما يسمى كذب؟

ج: أيوه ما يكون مريض عيان بصدره تقول في المعدة ولا تقر حقيقة.

س: لما نومتها هل سألتها عن الجان؟

ج: كانت تقول كل أقوالها وهي صاحية.

س: وما اعتقادك في ذلك.

ج: كل هذا كذب.

س: البنت فيها مرض في... فمن أين جاء لها؟

ج: يمكن من الخارج.

س: وأنت من أين جاء لك.

ج: من زوجتي.

س: ومن أين جاء لزوجتك؟

ج: من البنت وهي لما كانت عندنا جاءتها العادة فطلبت من زوجتي فوطة فاستعملتها وبعد ذلك الست جاءتها العادة فطلبت الفوطة ولم يكن عندنا فوطة نظيفة فوضعت واحدة من الوسخين فانعدت.

س: وأنت لماذا استعملت الحقنة.

ج: كل شيء له كلام وأنا ما كنت أشعر بالسيلان فلما كشف الحكيم عليّ وجد نقطة من السيلان وما كنت مصدق وقلت رطوبة

أو مرض في البول لغاية ما خرجت من السجن اجتمعت بزوجتي فحسيت بعد كم يوم بظهور السيلان فطلبت منها الكشف عليها فوجدت عندها السيلان فشتمتها، والدليل على ذلك اني كنت رايح أطلقها.

س: ماذا كان جوابها.

ج: كانت تبكي وأنا أعرف أنها متربية جيداً، ثم قلت لها وأنا أهدّدها: إحنا سمعنا أن عندك سيلان والبنت عندها سيلان تكونش البنت عدتني بواسطة فوط العادة، إحكي لي الحكاية، فحكت الحكاية.

س: لمّا نوّمت البنت في التحقيق كانت نائمة صحيح.

ج: أيوه وكانت تكذب كثيراً.

س: هي اتهمتك كثيراً فماذا تقول.

ج: إذا كانت تنام نوماً حقيقياً وأنا لي السلطة عليها فكانت لا يمكنها أن تتهمني وهي قالت أشياء كثيرة كذب، فهل أنا كنت أحضر الست بتاعتي في أثناء ما أعمل ذلك.

س: هل كانت نائمة أم لا حقيقة.

ج: حقيقة كانت نائمة بالحالة التي كانت تنام بها عندي في البيت.

س: هل تقبل أن تنومها أمام المحكمة وتقبل كل جواب على نفسك.

ج: إذا كانت مصدقة والمحكمة تقبل كلامها.

س: هل إذا كان الإنسان ينوّم آخر ويأمره بأن يتهم زيداً من الناس. فهل يستمر هذا الاتهام.

ج: لو قال لها وأمرها أن تتهم السلطان فتتهمه ويستمر الاتهام.
تمت أقواله.

استحضر الشاهد الأول والد المجني عليها (ش. Ch) وسئل فأجاب بما أجاب عنه في تحقيقات النيابة.

أوقفت الجلسة للاستراحة وبعد الاستراحة فتحت الجلسة واستُحضرت المجني عليها (آ. A) وسئلت فأجابت اسمي (آ. A) وعمري ١٤ سنة وكسور ومقيمة ب.... حلفت اليمين القانونية.

س: بماذا تشهدين.

ج: قالت... بكل ما صرَّحت به بالتحقيقات الأولية بالنيابة وهي في حالة اليقظة.

تمت أقوالها.

وهنا قال سعادة الرئيس للنيابة المحكمة تريد أن تُنوَّم المجني عليها أمامها فهل هناك مانع. فوافقت النيابة على تنويمها، وقال المحامي إنه لا لزوم لذلك لإننا كلنا نعرف أنها تنام.

فقالت له المحكمة تريد أن نتفّق أيضاً على ما إذا كان التنويم هذا من ظروف القوة وعدم الرضا من عدمه. فقال حضرة أبو شادي بك إنّنا متفقون على أنه ظرف من ظروف القوة وعدم

الرضا فيما لو كانت الجريمة قد وقعت حقيقة. فقالت المحكمة لحضرته، أهناك ما يمنع تنويمها. فقال لا ما منع وإنما الوقت يكون ليلا والزمن يضيع. ثم أجلّت المحكمة إتمام القضية على الساعة الرابعة والنصف مساء هذا اليوم.

وأعيدت الجلسة في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣.

ودخلت المحكمة إلى غرفة المداولة بالهيئة نفسها، ودخل المتهم والمحامي عنه والمجني عليها ووالدها والدكتور محمد رشدي بك حكيمباشي محافظة مصر والدكتور محمود بك ماهر نائب الطبيب الشرعي والطبيبان الدكتور محمد رشدي بك والدكتور ماهر بك بعد أن حلفا اليمين القانونية بأن يؤديا مأموريتهما بالذمة والصدق.

تنويم المجني عليها في محكمة الجنايات

س: من جناب المستشار المستر برسفال إلىَ الدكتور ماهر بك: هل يمكنك أن تنوم المجني عليها.

ج: لم أنوم أحداً قبل الآن ولكن حضرة الدكتور رشدي بك يعمل ذلك.

فأمر سعادة الرئيس الدكتور محمد رشدي بك أن ينوّم المجني عليها ففعل: أجلس المجنى عليها أمامه على كرسي ونومها بطريقته الخصوصية فبدأت عينا المجني عليها ترفّان (ترمشان) بعدما كابتا لا

ترفّان ثم أغمضت عينيها دفعة واحدة وأمالت رأسها إلى الجهة اليمنى فقومها (عدلها) الدكتور رشدي بك وقال إنها نائمة الآن، ولكن أطلب من حضرات المستشارين انتداب طبيب سواي لتؤكد نومها نوماً مغناطيسياً، فقد يخامركم شك في قولي إنها نائمة لأنني طبيب ومنوّم ومسك دبوساً وحماه بالنار وناوله لحضرة الدكتور ماهر بك وقال له أوخزها به في أي مكان شئت حتى يسيل دمها ففعل ووخزها في عدة أماكن من ذراعها، وقد سال الدم من ذراعها في آخر وخزة ولم تشعر ولا تألمت ولا حركت يدها أو جسمها حركة فربط الدكتور ماهر بك ذراعها المجروح بمنديل سعادة المستشار رضا بك.

ثم قال الدكتور رشدي بك لحضرات المستشارين إنَّ وخز المجني عليها الذي علم لحضراتكم منه أنّها فاقدة الحس ليس كافياً للحكم على أنها نائمة نوماً مغناطيسيا حقيقياً فسأظهر لحضراتكم علامة أخرى وهي: لا يخفي على حضراتكم أنّ الإنسان وهو مستيقظ وفاتح عينيه إذا أراد قفل أحدهما فكثيراً ما يتبع إقفال العين المراد إقفالها تقلص في عضلات الوجه في جهة العين ولكن النائمة نوماً مغناطيسياً لا يحدث هذا التقلص في جهة عينها المراد إقفالها وسترون حضراتكم ذلك عندما آمر النائمة بفتح عينيها وإغماضها. وهنا أمر النائمة بفتح عينها اليمنى ففتحتها من غير أن تظهر علامة تقلص في العضلات ثم أمرها بإغماضها فأغمضتها وأمرها بفتح عينيها ففتحتهما وقال لحضرة الدكتور ماهر بك ضع طرف إصبعك على مقلة عينها، فوضع أصبعه على مقلتها فما تحركت

وظلت أجفانها ثابتة بدون حركة .

ثم أمرها الدكتور رشدي بك بالوقوف فقامت: امشي إلى الأمام مشت اجلسي جلست ثم رفع يدها الشمال وتركها فألقيت على الأرض دفعة واحدة وقال لها ارفعي يدك اليمنى فرفعتها ارفعي رجلك اليمنى ولا تتركيها فرفعتها واستمرت حتى قال لها أنزليها . ثم قال لها أنزلي يدك اليمنى فأنزلتها .

فقال لها الدكتور ماهر بك ارفعي يدك اليمنى ، فلم ترفعها فعاد الدكتور رشدي بك وأمرها برفع يدها اليمنى ففعلت. أنزليها ، أنزلتها ، وأمرها أن تسمع كلام الدكتور ماهر بك فأمرها الدكتور ماهر بك أن ترفع يدها فرفعت يدها اليمنى فقال لها أنزليها فأنزلتها .

فقال الدكتور رشدي بك آمرك أن تسمعي كلام حضرة رئيس الجلسة وهنا سألها حضرة الرئيس ارفعي يدك اليمنى ففعلت . أنزلي يدك وارفعي رجلك اليمنى ففعلت ، وسألها حضرة الرئيس .

س : أتعرفيني . فلم تجاوب ؟

فأمرها الدكتور رشدي بأن تجاوب سعادة الرئيس فسألها .

س : ما اسمك ؟

ج : (بصوت مخفض) (آ . A) .

س : وكم عمرك ؟

ج : (بصوت منخفض) ١٤ (وشويه) .

هنا أمرها الدكتور رشدي بك أن تجاوب عن كل سؤال يوجه إليها من حضرات المستشارين. سألها سعادة عبد الحميد رضا بك.

س: قومي واقعدي.

ج: قامت وقعدت.

س: ارفعي يدك.

ج: رفعتها.

س: أنزليها.

ج: نزلتها.

س: كم شهر قعدتِ عند الدكتور (ف. F)

ج: شهران (شهرين).

س: من أول أي شهر؟

ج: بعد شم النسيم.

ثم سألها جناب المستر برسفال قائلاً:

س: أتعرفين أنتِ فين دلوقت؟

ج: ايوه (نعم).

س: أنت قاعدة أم واقفة؟

ج: قاعدة.

س: قفي؟

ج: وقفت.

س: اقعدي على الكرسي؟

ج: قعدت.

ثم قال الدكتور رشدي بك لحضرات المستشارين: سأظهر لحضراتكم ما هو أغرب من ذلك وقدم إليهم ساعته لينظروا كم الساعة ثم وضعها على جبهة النائمة وأمرها أن تنظر إلى الساعة وهي نائمة كما تنظر إليها بعينيها وتقول أين العقرب الصغير والعقرب الكبير فقالت الصغير على خمسة (خمس) والكبير على عشرة (عشر) والحقيقة أن الساعة كانت الخامسة والدقيقة العاشرة كما قالت ثم قال لحضرات المستشارين: سأظهر لحضراتكم أن النائمة تنظر بمعدتها كأنها تنظر بعينيها وتميز عقربي الساعة ووضعها على معدتها وأمرها أن تنظرها فقالت إنها نظرتها. فقال لها قولي أين العقرب الصغير وأين العقرب الكبير. فقالت الصغير على ست (ستة) والكبير على عشرين وكانت الساعة السادسة والدقيقة عشرين كما قالت.

وسألها حضرة الرئيس قائلاً لها: يا (آ. A)، عدّة مرّات، فلم تجاوب، فأمرها الدكتور رشدي بك أن تسمع كلام سعادة المستشار، ثم سألها سعادتهُ.

س: من أنا؟

ج: المستشار.

س: وكم مستشار نحن؟

ج: ثلاثة.

س: أنتِ مبسوطة.

ج: لست تعبانة.

س: أشَعَرْتِ لمّا وخزوكِ بالدبوس؟

ج: لا.

س: إيدك مربوطة أم لا؟ ومربوطة بأي شيء؟

ج: مربوطة بمنديل لونه أبيض.

ج: من ربطهُ بيدك.

ج: الدكتور ماهر بك.

أجابت عن ذلك وهي مُغمضة العينين، وكلها إجابات صحيحة. فقال لها الدكتور رشدي بك: استمري على إجابة سعادة الرئيس.

وهنا سألها سعادة الرئيس عن كل ما جرى في ارتكاب جنايتها فأجابت عنه مفصّلاً كما أجابت أمام النيابة وهي نائمة في بدء التحقيق بلا زيادة ولا نقصان.

ثم جلس حضرات المستشارين خلفها وإلى يمينها وهي نائمة مغمضة العينين، وسألها حضرة الرئيس بعدما أمرها الدكتور رشدي بك أن تستمر على إجابتهِ.

س: الرئيس من الذي قاعد إلى يميني؟

ج: المستشار .

س: من منهم؟

ج: الإنجليزي.

س: صفيه .

ج: طويل (مش قوي أبيضان وسمين ومش سمين قوي) .

س: لابس طربوش أو لا ؟

ج: رأسه عريانة (عارٍ) .

س: انظري جيداً ماذا يوجد على رأسه ؟

ج: لبس طربوش دلوقتي (الآن) .

وهنا لبس المستشار الإنكليزي برنيطة بعد الطربوش وسألها حضرة الرئيس.

س: ماذا يلبس جناب المستشار الإنكليزي على رأسه .

ج: لبس برنيطة دلوقتي.

رفع حضرة الرئيس طربوشه عن رأسه وقال لها .

س: وماذا على رأسي.

ج: رأسك عريانة.

س: انظري جيداً (ولبس الطربوش) .

ج: دلوقت لبست طربوش.

أجابت عن هذه الإجابات وهي مُغمضة العينين وكلها صحيحة وهنا طلب حضرة ابو شادي بك المحامي أن يسأل المجني عليها سؤالاً ونادها يا (آ .A). فلم تجاوبه، فطلب من الدكتور محمد رشدي بك أن يأمرها، فأمرها أن تجاوب حضرة أبو شادي بك.

فتقدَّم حضرته إلى أمامها وكان مُخفياً يديه تحت البُرنس، وقال: يا (آ .A)، ماذا في يدي اليمنى؟ وماذا في يدي الشمال؟

وهنا أوقفه الدكتور رشدي بك قائلاً يجب عليك أن تقول لي ولحضرات المستشارين ما في يدك سرّاً بيننا لكي أوصل لها التأثير المغناطيسي. فامتنع حضرة أبو شادي بك، فقال له الدكتور رشدي بك: أَقَلُّه أظهِرْ يدك من تحت البُرنُس، فأظهرهما مقفلَتين، ووقف أمام اللجني عليها، ومدَّ يديه مقفلتين، وقال لها.

س: إيه اللي (ماذا) في يدي اليمنى يا (آ. A).

ج: سكتت ولم تجاوب.

فقال لها الدكتور رشدي بك: آمرك أن تجاوبي حضرة أبو شادي بك، وتكوني تحت تأثيره. فقالت بعد ذلك:

(ايدُه اليمنى ما فيهاش حاجه) ليس في يده اليمنى شيء. وهنا فتح يده اليمنى، ولم يكن فيها شيء، وقال: صحيح.

س: وايه اللي (وماذا) في الشمال يا شاطره.

ج: فيها...

س: إيه هو (وهنا أمرها الدكتور رشدي بك أن تضع يـدهـا

فوق يده، وتتأمَّلْ جَيِّداً، فوضعت أطراف أصابعها على ظهر يد حضرة أبو شادي بك، وقالت:

ج: فيها خاتم ذهب (وهنا فتح أبو شادي بك يده فكان فيها خاتم ذهب كما قالت وقال حضرته: الآن آمنّا وصدَّقنا.

وبعد ذلك جسَّ الدكتور رشدي بك نبض المجنيّ عليها، وقال: هذا غاية ما يجوز لها أن تنام فالواجب أن أصحيها.

فكَّلفته المحكمة أن يأمرها بأن تتذكَّر كلّ ما حصل لها وما قالته وأن تقوله وهي مستيقظة، فأجاب الطلب وأيقظها بطريقته فاستيقظت.

فسألها سعادة الرئيس عن كل ما جرى لها وهي نائمة فأجابت عنه بلا تغيير فيه على الإطلاق. وسألها سعادة المستر بِرسفال قائلاً لها: وهل سألتُكِ أنا.

قالت نعم. تَمَّت أقوالها.

المحكمة سألت الدكتور محمد رشدي بك.

س: أتعتقد أن كلام هذه الابنة حقيقي.

ج: بالنظر إلى ما ظهر من العلامات التي ثبت منها نائمة نوماً مغناطيسياً لا ريب فيه وأمّا من جهة (زكية الجنية) التي تقول أنها كانت تركبها حينما ينوِّمها المتهم فلنفسر ذلك للمحكمة ونقول:

إنّ بعض المنوّمين يصوِّرون للنائم أشياء لا حقيقة لها كتلفيقهم شهادة مزوَّرة يعترفون بها وهو في اليقظة أو يماثل ذلك، أو يجعلون

أنفسهم ملائكة أو جناً لقضاء أغراضهم. ومن هذا القبيل أنَّ شخصاً من الأغنياء كان له خادمة إرادتها قويَّة، وهو يميل إليها، فطلبتْ هي منه أن تنوِّمه نوماً مغناطيسياً، فقبل منها ذلك، وفعلاً تأثَّر، ونام. ففعلت ذلك عدّة مرات. وفي آخر مرة صوَّرت نفسها ملاكاً نازلاً من السماء يأمر هذا الغنيّ أن يكتب كلّ أملاكه وهو في اليقظة بوصيّة بعد وفاته لخادمته فلانة، ثم أيقظته، فقام في الحال وعمل وصيَّته بكلّ أملاكه لخادمته كما أمره الملاك (والحقيقة الخادمة). وبعد مضي عدّة أشهر تُوفِّي الغنيّ فطعن ورثته في الوصيّة بحجَّة أنها كُتبتْ بالتنويم المغناطيسي، وقُدمت الدعوى إلى المحكمة، فأبطلتها بعد أن ثبت لها صحّة ما ذكر. فهذا الملاك يماثل (زكية الجنية).

هنا سأل سعادة الرئيس الدكتور ماهر بك.

س: هل المجنيّ عليها كانت نائمة بلا إرادة، ويمكن أن يعمل المنوِّم كل شيء فيها.

ج: نعم.

س: إذا كانت بلا إرادة فكيف ترفع يدها، وتعمل كل ما يقال لها.

ج: بإرادة المنوِّم.

س: (من المحكمة لحضرة الدكتور ماهر بك) إذا كان التأثير الخارجي معدوماً وليس الذي يسألها شخصاً واحداً أيكون كلامها عن الأسئلة أقرب إلى الحقيقة منه وهي في حال اليقظة.

ج: إذا طلب منها أن تقول الصدق ولم يكن ثم تأثير آخر فطبعاً تقول الصدق كذباً ما دام قد طلب منها أن تقول الصدق ولو كان الكذب من طبيعتها وهي متيقِّظة.

هنا سأل سعادة الرئيس الدكتور رشدي بك أسئلة طبِّيَّة في هذا الموضوع، فأجاب عنها تفصيلياً.

طلب سعادة الرئيس زوجة المتَّهم، وسألها عمّا تعلمه، فأجابت بكذا وكذا... كقول زوجها. بعد ذلك طلب سعادة الرئيس شرح الدعوى.

مرافعة حضرة كامل بك وصفي وكيل النيابة

قضيّة اليوم غريبة في موضعها في أشخاصها لأنّ الجريمة وقعت بوسيلة غير عاديّة، وهي التنويم المغناطيسي، ومن شيخ يناهز الستين من عمره يمارس مهنة شريفة هي مهنة الطب على فتاة في الرابعة عشر من عمرها مسكينة لا حول لها ولا قوّة، ولا ذنب لها إلا أن طبيعتها تصلح للتنويم المغناطيسي ضحاها والدها طمعاً في المال وكم للبؤس من ضحايا.

دخلت البنيّة عند الطبيب المتهم بكراً طاهرة نقية فغادرت بيته وقد فقدت أثمن تاج تُتَوَّج به بنت في حياتها وهو البكـارة. قضي على تلك الفتاة المسكينة أن تخسر أعز شيء في حياتها فضاع بذلك مستقبلها الذي كانت تحسبه زاهياً زاهراً ولم تكن تدري أن القدر الظالم يتيح لها طبيباً فاسقاً يعبث بكنزها ويزيل زهرتها ويدنس

طهارتها فيقضي عليها ذلك القضاء المبرم.

دخلت البنية عند الطبيب المتهم لينوّمها مغناطيسياً فتكشف له من أمور المرضى ما يعجز عن علمه فيكسب من وراء ذلك مالاً كثيراً وهو مع ذلك ينقضّ على تلك المسكينة وهي في عالم آخر فيفترسها ولم يوبخه ضميره مرة واحدة إذ أتى ذلك الفعل مراراً، فقبحاً لذلك الضمير الميت، وسحقاً لتلك النفس الشريرة. وقد بلغ به فجوره إلى حدّ إتيان ذلك العمل على مرأى من خادمته الصغيرة البالغة من العمر عشر سنين وزوجته الشابة فارتكب بذلك جنايتين أُخريين. تحريض الخادمة على الفسق. وخيانة الزوجة. فيا له من جان ثلاثاً أمام الله والناس. ذلك الرجل الذي لم يخش خالقاً ولا مخلوقاً يستحق عقاباً شديداً جزاء فسقه. وقد جعلتم لنصرة الحق، فاقضوا للحق والعدل والآداب من ذلك الجاني الأثيم.

كان ينوّمها اليوم كلّه وبعض الليل، حتى أصبحت هزيلة ضعيفة، وقلّما تعاودها صحتها. فيا للقساوة والتوحّش، ويا ويل الناس من الناس. أدلتنا ثلاثة: قول البنت في حالة النوم. والعدوى، والتقارير الطبية. الدليل الأول: لقد نامت البنت أمامكم نوماً عميقاً مغناطيسياً يدل على ذلك أنها وُخزت بإبرة حتى سال منها الدم فلم تشعر، وسألتموها كثيراً فأجابت بأن الدكتور الفاضل أتاها مراراً وذكرت تفاصيل هامة تدل على صدق روايتها وبُعد التلفيق عنها وكان حضرة المحامي أبو شادي بك لم يقتنع فتقدم إلى الفتاة وهي في الغيبوبة ويداه مقفلتان فقال لها ما في شمالي؟ قالت: إنها خالية فكانت كذلك. فقال وما في يميني؟ وبعد تفكير وتكرار السؤال

قالت: إنّ فيها خاتماً وكان كذلك. وقد أُمرت أن تعيد أقوالها إذا ما استيقظت، فأعادتها وهي كثيرة حرفاً بحرف بغير أنّ تبدّل كلمة بأخرى تدل على معناها وهذا دليل واضح على صحة القول.

إذاً صدّقوها يا حضرات المستشارين لأنّها لا تكذب. إنّ التي تقول ذلك القول الخالي من صبغة التلفيق يجب أن تكون صادقة. إنّ نظرية التنويم المغناطيسي مُسَلَّم بها من العلماء، وقد أخذتْ بها المحاكم في جميع البلاد، فقضت المحاكم الفرنسيَّة على طبيب أسنان بالسجن عشر سنوات لوقاعه بنتاً وهي نائمة مغناطيسياً، وحكمت على آخر بالأشغال الشاقة لمدة اثنتي عشرة سنة للعمل نفسه. والثابت علماً أنّ الشّخص المنوّم لا يذكر في اليقظة ما وقع في النوم إلاّ إذا أُمِر بذلك، وقد شاهدتم دلائل محسوسة، فلماذا يُكذبون.

الدليل الثاني: ثبت أنّ الطبيب الفاضل كان مصاباً بسيلان مزمن، وقد شوهد ميكروب الداء في الفتاة المسكينة، فهو لم يكفه فقدانها بكارتها، فأهداها ـ حفظه الله ـ داءً عضالاً قد يودي بحياتها كما ثبت طبّيّاً إذا أهمل العلاج. يريد الطبيب المتَّهم أن يقول إنّ جرثومة الداء نشأت في البنت، فلمّا جاءها الحيض مسحت في خرق استعملتها زوجته بعد ذلك، فاتصل إليها الداء وانتقل إليه منها. وهذا غريب في التضليل لأنّه فضلاً عن عدم ثبوت مرض الزوجة فإنه ظهر طبّيّاً أنّ مرضه مزمن ومرض المجني عليها حديث، وهذا دليل على أنّ المرض انتقل إليها منه.

الدليل الثالث: إن التقارير الطِّبّيَّة أثبتت أنّ إزالة البكارة

حصلت في مدّة وجودها عند المتهم.

لقد سمعتم حضراتكم دفاع المتهم وكلّه أوهام وإيهام على قوله، فلم يدخل معنا باب الحقائق والوقائع الثابتة، وإنما أتى بخرافات وأضاليل، وهكذا دفاعه أَوْهى من نسج العنكبوت، لأنه باطل.

أمامكم يا حضرات المستشارين طبيب مجرم غليظ القلب قاسٍ ضريبة على الآداب بلغ من العمر أرذله، وبجانبه فتاة عمرها أربع عشرة سنة مسكينة فقيرة لا تعلم من أمرها شيئاً تقضي ليلها ونهارها نائمة، دخلت بيته بكراً فخرجت ثيباً عليلة مصابة بداء عضال.

زنوا الفعل وأعطوه حقه من العقاب، وأنتم خير من يزن الأفعال والسلام.

دفاع حضرة محمد بك ابو شادي المحامي عن المتهم (أمام محكمة الجنايات)

قال المحامي: إنّه إنْ صح أنّ هذا المتهم أتى هذه الجريمة لا بأس من أن يعاقب بعقوبة كبيرة لأنه حكيم (طبيب)، ويجب أن يحافظ على الأعراض، ولكن يجب أن تكونوا متأكّدين من أنه أتى هذا العمل حتى نحكم عليه بالعقوبة الشديدة. وبمقدار ما ترى النيابة أنّ الفعل خطر بمقدار ما تريدون حضراتكم أن تقرروا مبدأ خطر الأدلة، وهي: السيدة، والسَّيلان، وتقرير الأطباء. ففي الدليل الأوَّل هل قالت الابنة إنّ الدكتور هو الذي عمل ذلك، وهي

مستيقظة قادرة على أن تنطق بوجدانها؟ كلا. وهذه الدعوى كلها أوهام والنيابة تريد من حضراتكم أن تقرّروا مبدأً هربت منه كل أوروبا وهو: هل وجد في المتهم دم البكارة وعلم أنه دم إنسان. إذا كان كذلك تكون هذه هي القرينة العظيمة والمجني عليها تقول إن الدكتور عمل ذلك وهي في حالة النوم، وإذا استيقظت تقول لم يعمل شيئاً، فهل الحكم يكون على النائم أو المستيقظ. وهل إذا أثبتَ لحضراتكم أنها تقول وهي نائمة بالاتهام، فهل يمكن لسعادتكم أن تتأكّدوا أنَّ ذلك صدق؟ لا يمكن، فإنّها مسلوبة العقل والعقل وهما مرجع الحكم في القضايا. على إني وقد ذكرت أنّ كل المحاكم الغربيَّة هربت من الحكم في ذلك فإن الدكتور ماهر بك قرَّر أن العلم لا يمكن أن يثبت الصدق فقط، بل يحتمل الصدق والكذب، فإذا كان الأمر كذلك هل ما قررته السيّدة يكون صحيحاً؟ الجواب عن ذلك قد يكون صحيحاً، وقد يكون غير صحيح، فهل نرجع إلى مصلحة المتَّهم أو إلى مصلحة الاتهام؟ فالشرائع السماويَّة والقوانين الوضعيَّة تقول: يجب أن تُدفع الشبهة باليقين وفي الأوراق ما يدل على أنّ الابنة كاذبة حيث قالت إنَّها ذهبت إلى بيت الدكتور ومكثت شهرين مع أن التواريخ التي أثبتها الدكتور تقول إنّ البكارة مضى عليها شهران، فإذا سلَّمنا بذلك، قلنا إنها راحت من بيت أبيها على السرير فوراً مع أنّه ثبت في الورق أن البكارة أزيلت بعد رواحها بشهر وخمسة أيام، فهل كل هذا الكلام صحيح مع أننا إذا عوّلنا على كلام الابنة نجد أنّ الحادثة حصلت قبل ٢٥ يوماً، وعلى كلام الطبيب الكشّاف تكون شهرين تقريباً، فيمكننا أن

نقول إنّ المدّة شهر وخمسة أيام أو إلاّ خمسة أيّام، فالكشف الطبي في هذه النقطة أثبت في هذه الواقعة أنّ الابنة إمّا أنّها تكذب في التقرير أو أنّه حصل منها هذا قبل وجودها عند الدكتور. وتقرير الدكتور بأنّ المرض لا يظهر إن كان قديماً أو جديداً بعد مضي ثلاثة أشهر أو أربعة كلّ ذلك يدل على كذب التنويم المغناطيسي. أمّا مسألة السَّيلان فأنا أقول: إنه ربما كان جزء من عشرة من أهل البلد مصابون بالسيلان، وعلى ذلك فهو كثير الشيوع ليس من الجذام والبرص مثلاً لنقول إنّ هذا المرض قليل جداً ونادر في البلد، وعلى ذلك يمكننا أن نقول إنّه هو الذي عداها، وأما أبو الابنة فإنّه ضيَّعَ جميع ماله، وأصبح فقيراً جداً، فأصبح هو وعائلته عرضة لهذا الداء. وأما قول المتَّهم إنّ العدوى من الحفاض، والابنة اليوم اعترفت بأنها أخذت الحفاض، والأطباء قرَّروا بأن العدوى تنتقل بواسطة هذا الحفاض، والمناقشة التي حصلت في غرفة المداولة تدلّ على أن الميكروب كلّه واحد، وتدل على أننا لا يمكننا القول إنّ السيلان أقدم. وأمام حضراتكم متَّهم عمره ٥٥ سنة قضي ٢٢ سنة منها وهو ينوّم، فهل اتُّهِم قبل ذلك بمثل هذه الجريمة مع أنّ زوجته ليست قبيحة المنظر، فهل يمكن بعد ذلك أن يستعملها كلّ يوم في الليل وفي النهار؟ كلاّ، ولا يمكننا أن نصدّق ذلك، ولا نتعقله، فهي إذاً كاذبة، وكلّ ما يمكن أن يعقل أنّها مسوقة بأوهام أو أن عدوّاً تسلّط عليها وألزمها أن تتّهم الرجل، فلا تدنّسوا حضراتكم حياة هذا الرجل في منتهاها. وأطلب له البراءة.

تمت المرافعة والحكم بعد المداولة.

وبعد المداولة صدر الحكم الآتي:

محكمة جنايات مصر

المشكلة علنا تحت رئاسة سعادة محمد توفيق رفعت بك وحضور حضرات عبد الحميد رضا بك ومستر برسفال مستشارين بمحكمة الاستئناف الأهلية وكامل بك وصفي وكيل النيابة ومحمود الحلبي أفندي سكرتير الجلسة.

اصدرت الحكم الآتي:

في قضية النيابة العمومية نمرة (٥٠) سايرة الموسكي سنة ١٩١٣ المقيدة بجدول المحكمة بنمرة (٥٠٤) سنة ١٩١٣.

ضـــد

الدكتور (ف. F) عمره ٥٦ سنة وصناعته طبيب وسكنه بركة الرطل.

وحضر للدفاع عن المتهم حضرة محمد أبو شادي بك المحـامـي. بعـد سماع أمر الإحالة وطلبات النيابة العمومية وأقوال المتهم وسماع شهادة الشهود والمرافعة والاطّلاع على أوراق القضية والمداولة قانوناً.

حيث إن النيابة العمومية اتّهمت المذكور بأنّه في أوائل مايو سنة ١٩١٣ بجهة بركة الرطل واقع البنت (آ. A) بنت (ش. Ch) بغير رضاها بأن نوّمها تنويماً مغناطيسياً حالة كونه له سلطة عليها بصفته سيدها، وطلبت من حضرة قاضي الإحالة بمحكمة مصر

الأهلية إحالة المتّهم على محكمة الجنايات لمحاكمته بالمادة ٢٣٠ فقرة ثانية من قانون العقوبات.

وحيث إن قاضي الإحالة قرر في ٢٧ اكتوبر سنة ١٩١٣ إحالة المتّهم على هذه المحكمة لمحاكمته بالمادة المذكورة.

وحيث إنه بجلسة اليوم المحدّد لنظر القضية (٣ ديسمبر سنة ١٩١٣) صممت النيابة على طلباتها والمتهم أنكر ما نسب إليه والمحامي عنه طلب براءته وذلك بحسب المدون بمحضر الجلسة.

وحيث إنه ثبت من التحقيقات أن (ش. Ch) سلم ابنته (آ. A) المجني عليها للدكتور (ف. F) المتهم لتخدمه في معالجته للمرضى بتنويمه إياها تنويماً مغناطيسياً ليسألها عن داء المريض ودوائه فأقامت بمنزله على تلك الصفة، وأنّ المتهم المذكور واقع (آ. A) بغير رضاها بأن نوَّمها تنويماً مغناطيسياً حالة كونه من ذوي السلطة عليها بصفته سيِّدها، وذلك في أوائل شهر مايو سنة ١٩١٣ بجهة بركة الرطل بقسم الموسكي بمصر وقد أثبت الكشف الطبي أنها مزالة البكارة في أثناء مدة وجودها عند المتهم.

وحيث إن (آ. A) المذكورة كانت في حال يقظتها خالية الذهن مما حصل لها ولاستمر الحال كذلك لولا أن المتهم لما آنس من والدها عزمه على إخراجها من بيته فخاف العاقبة دبر أن يوهمه أنّ نفراً من الجنّ عبثوا ببكارتها فأخبره بحالها اعتقاداً منه أنّ أباها يصدق ذلك وقد ثبت من الكشف الطبي أنّ المتهم مصاب

بسيلان مزمن وأنّها مصابة بسيلان حاد أي إصابته سابقة على إصابتها.

وحيث إنّه قد ثبت مما تقدم أنّ المتّهم واقع المجني عليها وحيث إنه لتحقيق عدم الرضا قررت المحكمة تنويم المجني عليها المذكورة تنويماً مغناطيسياً لمعرفة درجة تعطيل إرادتها وانعدام رضاها.

وحيث إنه قد ثبت للمحكمة من اختبارها بعد تنويمها أنها كانت وقت وقوع الجناية عليها معدومة الرضـا معطلة الإرادة.

وحيث إنه بناء على ما تقدم تكون التهمة ثابتة على المتهم وعقابه ينطبق على المادة (٢٣٠) فقرة ثانية من قانون العقوبات.

وحيث إن الجناية كبرى من وجه كونها واقعة من طبيب مؤتمن على الأعراض ومن وجه استعماله وسيلة هي كبيرة الضرر في يد غير الأمناء.

وحيث إنّ المحكمة ترى مع ذلك من حالة سنّ المتهم وبنيته مراعاة المادة (١٧) من قانون العقوبات بالنسبة لنوع العقوبة فلهذه الأسباب.

وبعد رؤية المادتين (٢٣٠) فقرة ثانية و(١٧) من قانون العقوبات حكمت المحكمة حضورياً بمعاقبة الدكتور (ف. F) بالسجن سبع سنوات.

هذا ما حكمت به المحكمة بجلستها العلنية المنعقدة في يوم

الأربعاء ٣ ديسمبر سنة ١٩١٣ الموافق ٥ محرم سنة ١٣٣٢ .

سكرتير الجلسة   رئيس المحكمة
محمود الحلبي   توفيق رفعت

التنويم المغناطيسي والطبّ والأخلاق

١ ـ فوائد التنويم المغناطيسي:

لقد ثبت بعد كلّ تجربة أنّ للنوم المغناطيسي فوائد عديدة ومزايا عظيمة في الطبّ. وقد توسّع الأطبّاء المشتغلون بهذا العلم فوجدوا أنّه يمكن بواسطته شفاء عدّة أمراض مختلفة كالأمراض العصبية (التشنجات) والصّرع والصّداع والرّوماتزم والصّمم ووجع الأسنان وغيرها. وقد ثبت أن للتنويم المغناطيسي نفعاً عظيماً في إجراء العمليات الجراحية إذ يقوم محلّ «الكلوروفورم» أي البنج.

فصار الأطبّاء يستعملونه في علاج المرضى إذ يكفيهم أن يوجّهوا إليهم الأسئلة في نومهم للاستعلام عن مرضهم والعلاج اللازم لذلك. فيجيبونهم بوضوح تامّ عن محلّ الألم وسير المرض والعلاج الذي فيه شفاؤهم كأعظم خبير في الطبّ. فيأمرونه بأن يشفى من المرض الذي يعانيه، أو يخبرونه بأنّه متى استيقظ فإنّه لا يجد ألماً ولا مرضاً، أو يعطونه نوعاً من العلاج ويخبرونه عن الدواء الشّافي، أو يذكرون له العلاج بالوهم ويأمرونه بأن يتعاطاه وقد

يكون هذا العلاج ماءً أو شيئاً آخر متوافراً في كل مكان وقد نجحت هذه الطرق نجاحاً تاماً.

وقد شفى التنويم كثيرين من المرضى بأمراض عصبية، وعلل مختلفة، وسنورد في هذا المجال تجربة تمت بواسطتها معالجة داء الصداع. فإن بعض الأطبّاء المشتغلين بهذا العلم يقومون بعلاج الصداع بطريقة سهلة للغاية، وهي أن يجلس المريض على كرسيّ أمامه ثم يقترب منه قائلاً له بأن يقفل عينيه، وأن الذي يؤلمه سيذهب شيئاً فشيئاً، وبعد ذلك يسأله عن موضع الألم واضعاً يديه على كل من جانبي رأسه ثم واضعاً كلاً من إبهاميه في وسط جبهته عند مفرق حاجبيه، ثم يحركهما يميناً وشمالاً حتى يصل إلى الأصداغ ثم يسحبها منتفضة كأنّه يرمي بشيء لاصق بيديه إلى الأرض ويكرر ذلك مدة نصف ساعة. وبعد ذلك يأمر المريض أن يستنشق الهواء بقوّة من أنفه ويخرجه في فمه، ويكرّر عليه ذلك ثلاث مرات، ويقول له لقد ذهب الألم منك وإنّك لا تحسّ بشيء مطلقاً بل صرت أحسن من ذي قبل، وأنّ كل الآلام التي كنت تشعر بها قد زالت عنك ثم يأمره بالقيام ويسأله عن حالته فيجيب أنّه شُفي تماماً وأنّ صحته أحسن من قبل.

وإذا أراد معالجة الأسنان يضع يديه على محل الألم ويفركه مراراً ويأمره باستنشاق الهواء بقوّة من أنفه ويخرجه من فمه ثلاث مرات ثم يأمره بالقيام فيستيقظ ويرى أنّ الألم زال وأنّ حالته تحسنت إلى أبعد حدّ.

وقد توصل بعض الأطبّاء في معالجة الصمم وتمّ شفاء بعض المرضى منه، ولكنّ البحث لا يزال متواصلاً ومع ذلك فقد تمّ علاج الكثيرين منه. وطريقة ذلك أن ينوّم الطبيب شخصاً آخر سليم البنية غير المريض، وينقل آلام المريض إليه بأن يقول له: « إني وصلتك بفلان المريض ولا بدّ أنّك تحس بآلامه وتعرف مرضه وما هو علاج المرض الشافي. فيحس النّائم في هذه الحال بالألم الذي يعانيه المريض، ويخبر عن موضعه ويصف العلاج الشافي لذلك كأعظم خبير، فيقوم الطبيب بمعالجة المريض حسب إرشاد النّائم ويصف العلاج الذي وصفه له ويكون علاجاً شافياً.

وقد بات مؤكّداً أنّ التنويم أحرز نجاحات في مجال المعالجة، والأدّلة ساطعة على سهولة استعمال التنويم كعلاج وعلى فوائده الكثيرة أمّا في مجال الجراحة فإن استعمال البنج ضروري وهو يسبّب غالباً اضطرابات بعد العمليّة لا يسببها التنويم أبداً، إذ يكفي أن يُقال للمريض الذي يراد إجراء عمليّة له في ذراعه مثلاً أو في أي عضو من أعضائه: « إن ذراعك صار مفقود الشعور، وصرت الآن لا تحس بوجوده ولا بأي شيء يحدث فيه » ثم تجرى له العملية دون أن يشعر بأي ألم. وبعد إجراء العملية على المريض وهو فاقد لكلّ شعور يكفي أن يقال له استيقظ حتى يستيقظ من حالته اللاشعورية دون أي عناء أو جهد أو خطر.

٢ ـ تأثير التنويم المغناطيسي في الأخلاق

لقد حقّق التنويم المغناطيسي نجاحاً عظيماً ومزايا كبيرة ومآثر جمّة في خدمة الإنسانية لأنّ التنويم صاحب نفوذ قوي وسلطان لا يقاوم في كبح جماح النفس أي ردّها عن ميلها باتّجاه الأخلاق والآداب العامة.

وقد أجريت تجارب عديدة جرى خلالها تغيير عادات سيئة عند أصحابها، وتكللت هذه التجارب بالنجاح الكامل، منها أنّ تجربة أجريت على شخص كان يهوى السرقة، وقد صدرت إليه الأوامر بعد أن جرى تنويمه مغناطيسياً بأنْ يقلع عن هذه العادة القبيحة ولا يميل إليها مرّة أخرى، وكرّر عليه المنوم ذكر مضارّ تلك العادة. وعند اليقظة وجد النائم في نفسه ميلاً قوياً إلى التخلّق بالعادات التي أمر بها، ونفوراً من العادات الذميمة التي كان يقوم بها. وعلى ذلك فإنّ التنويم المغناطيسي مفيد جداً في تهذيب النّفس وإزالة العادات الرذيلة. ولإتمام الفائدة نذكر تجربة قام بها أحد الأطباء في معالجة رجل مدمن على الخمر. وقد تمكّنت منه هذه العادة أشدّ التمكّن حتى أصبح في حالة يرثى لها، أَضِفْ إلى ذلك أنّه كان لا يعود إلى منزله إلاّ مع طلوع الصباح، وهو متزوج وله امرأة وأولاد يشتاقون إلى رؤيته. وحين يعود صباحاً كان الجيران يستفيقون على صوته وقد علا صياحه وهو يتشاجر مع امرأته وأولاده.

وقد أقنعه أحد الأطباء أن ينوّمه مغناطيسياً، فاستجاب لرغبته

ونام، حتى إذا تمّ ذلك جعل الطبيب ينصحه بالابتعاد عن الخمر لأنّه جعله حقيراً في أعين النّاس وأسقط شرفه ونغّص معيشته، وتركه في صحة رديئة وفي وضع اجتماعي وعائلي معيب. فكان يصغي لأقوال الطبيب جيداً، ثم أمره أن لا يقصد خانات الشراب مرة أخرى، بل ينصرف إلى بيته يقوم بما يفرض عليه وضعه كزوج وأب، وكان المنوّم قد هيّأ له كاساً من الشراب وطلب منه أن يحدّق إليه، وطلب منه أن لا يعود إلى شرب الخمر مرة ثانية لأنّ الخمر يؤدي به إلى المرض والهلاك. ثم أيقظه من النوّم وقدّم له كاساً من الخمر فما كاد يذوقه حتى ألقاه على الأرض باشمئزاز.

ولكنه عاد بعد فترة إلى الشراب وإن بمعدل أقلّ من السابق فأحضره الطبيب ونوّمه للمرة الثانية وكرّر عليه الأقوال والنصائح التي تلاها في المرة السابقة حتى أبطل عادة الشراب بشكل كامل. وقد استغرقت عملية إبعاده عن الشراب جلستين متتاليتين لأنّ العادة كانت متأصّلة فيه وعميقة الجذور. وما لبث أن صارت أخلاقه حميدة بعد التجربة الثانية وأقلع نهائياً عن شرب الخمرة وتعجب الجيران من التغيير الذي طرأ في علاقته بامرأته وأولاده.

تنبيهات في التنويم المغناطيسي

من الثّابت أنّ التنويم المغناطيسي وسيلة لاستقراء الغيب، أو علاج الأمراض المستعصية، لذلك يخشى أن تتحول هذه الوسيلة الشريفة إلى ألعوبة في أيدي المشعوذين يخدعون بها السذّج من الناس ويغشّونهم. بيد أنّ المنومين أشخاص يتمتعون بذكاء غريب وضياء عقلي مغناطيسي غريب يستحيل على المنومين المشعوذين أن يحصلوا عليه. ولا شكّ بأنّ التنويم موهبة وعلم، وهـذه الموهبـة غير قابلة للانتقال، وقد تظهر هذه الموهبة إثر تجارب تنويمية كما تظهر في مجالات متعدّدة في شتى أصناف العلوم والفنون.

فإذا وجد المنوّم شخصاً قابلاً للتنويم، وظهر له أنّه جامع للشروط المطلوبة للنجاح في هذا الباب عليه أن يبعده عن الناس، ومتى نوّمه عليه أن ينفخ على قمة رأسه مرات متتالية ليكون على ثقة من حالته الصحية، وأنّه لا يشكو من أقلّ علّة قبل أن يختبر درجة استعداده العقلي ويجرب ذكاءه مغناطيسياً.

ولامتحان قوّة النّائم على المنوّم أن يطلب إليه أن ينظر إلى

أبعاد قريبة من خلال شيء رقيق كورقة أو قطعة نسيج. فإذا نجحت هذه التجربة عليه فيمكن أن يزيد المصاعب شيئاً فشيئاً. وإذا ثبت للمنوّم أنّ هذا الشخص قادر أن يكون صلة بين المنوّم وبين الشخص الذي يريد أن يعالجه أو المكان الذي يريد أن يجعله موضع بحثه فإنّ المنوّم يتأكّد من نجاحه المسبق في الغاية التي يسعى إليها. وطريقة العلاج عند ذلك تصبح سهلة ومضمونة النتائج. وطريقة ذلك أن تضع مثلاً مع النائم خصلة من شعر ذلك الشخص أو شيئاً اقتناه مدّة طويلة. فإذا نجحت تلك التجربة ووثقت بذكاء تلميذك وتأكّد لديك مبلغ استعداده وأهليته، سقطت تلك الحواجز من أمام منوّمك فلا تعود الأبعاد تؤثر لديه في رؤية ما تطلبه منه. فهو يرى على بعد أميال كثيرة، ويعرف ما يكون محجوباً تحت غلافات عديدة كثيفة، وعلى العموم فإنّه يكون ممّن خصّتهم الطبيعة بتلك الموهبة العجيبة التي تعرف بما يسمى «النظر الثاني» أو «علم الغيب».

وقد نال كثير من المرضى الشفاء التّام باستشارة أحد المنوّمين من أصحاب هذه الموهبة النادرة، وقد استطاع بعض المنوّمين أن ينتقوا الأدوية المفيدة والأطعمة الملائمة لشفاء أمراض مستعصية.

وإذا كان بعض القابلين للتنويم يستطيعون أن يحددوا مرض من يستشيرونهم، وأن يدلّوهم على الدواء الشافي، أو يخففوا وطأة الداء عنهم، فلا ننس أنّهم نادرو الوجود، وأنّ المشعوذين في هذا الفن هم أكثر عدداً من الخبراء الصّادقين.

ولا بد حول ما ذكرناه عن المانيتسم أن نوجّه بعض النصائح الضرورية الآتية:

- لا تُنَوِّمْ إلاّ من كان سليم الجسم والبنية والعقل وذا ثقة تامة بك.
- لا تنوم أحداً إلا بعد انتهاء هضمه لئلا تعرّضه لاحتقان في الدماغ.
- ليس كلّ الناس على استعداد للتنويم لانّ النسبة التي تتوافر فيها الصفات المطلوبة لا تتعدى خمسين في المائة على الأكثر.
- كن حكيماً فطناً في تجاربك التنويمية، وقم بها كلّها بإتقان وعناية مراعياً القواعد بضبط ودقّة.
- إذا أمكنك أن تنوّم من الجلسة الأولى شخصاً تجرّب فيه التنويم فاقتنع بهذه النتيجة لأنه يستحيل عليك أن تصل إلى أكثر من ذلك إلا بعد تجارب عديدة.
- تجنّب بقدر ما يمكنك الاجتماعات الحافلة أثناء التنويم.
- من واجبات المنوّم أن يعيش حياة قانونية غير مشبوهة.

وعليه أن يدّخر قواه، ويحرص كل الحرص على المحافظة عليها. وعليه أنّ يتجنب ملذّات الحواس والإكثار من المشروبات الروحية والتعب الشديد. وعليه عموماً أن يبتعد عن كل ما يستطيع أن يضعف جهازه العصبيّ.

ولا بدّ أن نضيف إلى الملاحظات السبع الأخيرة بعض

الإرشادات التي نراها مكمّلة لها، ونوجزها على الشكل التالي:

١ - يحسن بالمنوّم أن لا ينوّم شخصاً مصاباً بمرض القلب أو الصرع أو ما شابه ذلك من الأمراض لئلا يرتبك إذا ما بدت أعراض المرض أو نوباته أثناء التنويم المغناطيسي.

٢ - ينبغي تجنّب الإيحاءات المثيرة للخصام والحقد أو المحركة للغضب والانفعالات في نفس النائم. فاذا تأثر النائم من الإيحاء تأثراً عصبياً شديداً، وجب الإيحاء إليه بتحويل نومه المغناطيسي إلى نوم طبيعي.

٣ - ينبغي قبل إيقاظ الشخص من النوم المغناطيسي توجيه الإيحاء إليه بأن لا يخضع في أيّ وقت من الأوقات للتأثير الذي قد يحاول بعض الأشخاص إيقاعه عليه، أو بأن لا يقبل التنويم من شخص لا يوثق به، أو أن يكون معتدلاً في القابلية للإيحاء (لان البعض يعانون حالة ازدياد في القابلية للإيحاء لا تخلو من المضارّ).

٤ - قد يقتضي الحال أن يتولى متابعة التنويم منوّم آخر فيما بعد، وهنا يوحي المنوّم قبل إيقاظه بأن يقبل عن طيب خاطر التنويم من الشخص الثاني ويخضع لتأثيره ويلبيّ إيحاءاته وينفّذ كل ما يأمره به.

٥ - يجب أن يتأكد المنوّم - بعد إيقاظ النائم - من أنَّ الأوهام والآثار التي أحدثتها التّجارب التنويمية قد زالت. ويوحي إليه بأنّه قد عاد إلى حالته الطبيعية صافي العقل قويّ الإرادة.

وحول هذه المسألة يرى أحد خبراء التنويم أنّه يجب على المنوّم

بعد بدء تجاربه مع شخص ما أنْ يقوم أولاً بتوجيه إيحاءات عضلية وأنْ يؤخّر البدء بمحاولة تنويمه، وألا يسمح له بالنوم إلا إذا أبدى ميلاً إلى ذلك. وإنّه يجب قبل إدخال النّائم إلى الحالة التنويمية أن يُقيم المنوّم بينه وبين النائم علاقة حسنة تمكنه من توجيه تأثيره إلى النائم وإزالته بحسب الإرادة. ومن هنا نشأت تلك الضرورة العملية وهي توجيه عدّة إيحاءات عضلية قبل إدخال النّائم إلى الحالة الأكثر عمقاً والتي تتضمن السيطرة على الحواس. وبهذه الطريقة يستطيع المنوم أن يدير النّائم وهو في الحالة التنويمية ويوجّهه كيفما شاء. كما أنه لا يحتاج في إيقاظه وإزالة التأثير عنه إلاّ إلى كلمات قليلة مصحوبة بطَرْق خفيف على جبهته فتراه يتحوّل إلى الحالة الطبيعة في الحال.

ويلفت أحد خبراء هذا العلم إلى أنَّ إغلاق العينين في بداية التنويم ما هو إلّا نتيجة أسلوب أصبح بمثابة «كليشيه»، وأنّه كثيراً ما يمكن إحداث التنويم بينما تظل العينان مفتوحتين.

وإذا كانت العينان تنغلقان نتيجة الإيحاء فان صلابة الأطراف لا تعقب إغلاق العينين كنتيجة حتمية، بل تتطلّب أن يوحي بها بدورها. والظواهر التي تبدو في درجة السّبات أو عقب انتهائها ترجع إلى إيحاء المنوّم إلى النائم بأنّ التنويم هو النوم بعينه، والنوم عندهم معناه النّسيان عند الاستيقاظ. وفي بعض الأحيان عندما يتذكّر النّائم عقب استيقاظه ما حدث أثناء التنويم فإنه يؤكّد أنّه لم ينم. ذلك أنّ النوم المغناطيسي يقطع كلّ صلة بالواقع.

رأي الدكتور روجيه الخوري (البارابسيكولوجي) في التنويم المغناطيسي

يتناول الدكتور روجيه الخوري العالم البارابسيكولوجي في كتابة القيّم «البارابسيكولوجيا في خدمة العلم». ظاهرة التنويم المغناطيسي، فيشير إلى عملية التنويم في الوقت الحاضر التي تحوّلت إلى «كليشيه» شبه ثابتة، حيث إنّنا نشاهد المنوّم يطلّ على مسرح أمام الجمهور ويطلب خمسة متطوّعين يختار واحداً منه بقوله إنّه سيوقف نبض شريان هذا المتطوّع وبالتالي سيتوقف قلبه عن الخفقان. ويباشر المنوّم عمله العجيب، ثم يطلب بعد فترة من الزمن أن يصعد بعض الناس على المسرح للتأكّد من توقّف نبض الرجل. ثم يقوم بمساعدة رجلين أو ثلاثة بتركيز رأس النائم فوق كرسي، ورجليه فوق كرسي آخر، ثم يقف على جسمه كأنه يقف فوق لوح سميك من الخشب ويعود فينزل أرضاً، وبعد ذلك يضع الحجارة التي يزيد وزنها على ثلاثين كيلوغراماً على بطنه ويباشر بتحطيمها حجراً بعد الآخر دون أن يشعر النائم بألم أو بأذى، ثم يبدأ بإعطاء الأوامر إلى النائم، فينفذ كلّ ما يصدر إليه من الأوامر بدقة متناهية. وفي النّهاية يعيد صاحب الخفّة الشخص

النائم إلى اليقظة فيتعالى تصفيق الجمهور الذي يكاد لا يصدّق ما يرى.

ما هي هذه الظاهرة برأي الدكتور روجيه الخوري؟

يقول الدكتور الخوري أنّ هذه الألاعيب كثيراً ما نشاهدها على خشبات المسرح ويدّعي أصحابها بأنّهم يمارسون ما يسمّى «بالتنويم المغناطيسي». فمن الواجب أن نشرح معنى هذه التسمية قبل أن نذهب بعيداً في البحث، فيؤكد أن التنويم هو خلاصة الأعمال التي يقوم بها أصحاب الخفّة أمام جمهور من النّاس تجاه الشخص المتطوع. غير أنّ صفة «مغناطيسي» ليست مطابقة لحال النوم، وإنّما صاحب الخفّة يستعمل هذه التسمية في ألاعيبه ليسترعي انتباه النّاظرين دون أن يدركوا شيئاً عن مفاعيل المغناطيس. فالتنويم في الحفلات هو خداع. وإذا درسناه بإشراف الأطبّاء، نرى أنّ التأثير الذي يسيطر على الشخص المتطوّع ناتج عن إيحاء المنوّم من ناحية وقبول المتطوّع للنوم من ناحية أخرى فليست إذن إرادة المنوّم هي التي تجبر المتطوّع على الاستجابة والاسترسال في النوم، وإنّما يتمّ ذلك بإرادة المتطوّع تحت تأثير الإيحاء. فالمنوّم إذا أراد أن ينوّم المتطوّع رغماً عن إرادته فلن يصل إلى نتيجة. وإن رضي المتطوع أن ينام ولم يكن المنوّم دارساً أساليب التنويم بكلّ دقّة وخبرة فلن تحصل عمليّة التنويم. وبما أن هذه الطريقة تعتمد من أجل نجاحها على الإيحاء فيرى الدكتور روجيه الخوري أنّه من الأفضل أن نسميّها: «التنويم الإيحائي».

نظريات التنويم:

لقد تعدّدت النظريات حول التنويم وتضاربت من قبل المفكّرين والعلماء فمنهم من اعتقد بالتيّار المغناطيسي الذي يؤدي إلى عملية النوم، وهؤلاء هم مجموعة كبيرة يقولون إنَّ هذا التيار يصدر عن إرادة المنوّم، ويسيطر على المتطوّع فتصبح إرادة هذا الأخير بتصرّف المنوّم. وقال غيرهم إنّ هذا التيار هو كهربائي وله التأثير المغناطيسي ذاته. ومنهم من اعتنق نظريات أخرى فقالوا إنّ القوّة أو القدرة التي يملكها بعض الناس تجعلهم يسيطرون على أناس آخرين ولو حاولوا التخلّص من هذه السيطرة. وهناك فئة اعتقدت بالخرافات والأوهام واستسلمت للنظريات المنافية للعلم التي يشيعها المشعوذون. أما برأي الدكتور الخوري فإنّ التنويم ينتج عن الإيحاء ولا سيما إذا كان مقتنعاً بعملية التنويم.

ولنجاح عملية التنويم شروط لا بد من توافرها كالبعد عن الضجّة والثرثرة وهذا ما يسمّى « التنويم السيكولوجي » وتأمين المناخ المعتدل بعيداً عن الحرارة والرطوبة، وتأمين الإضاءة المعتدلة. كما أن للتنويم أهدافاً أهمّها: شفاء المرء من مرض نفساني وهذا لا يحصل إلاّ إذا بلغ التنويم مرحلة الغوص في عمق تفكير المريض وكشف أسراره وعقده النفسية.

حقيقة الخدعة المسرحية:

ما هي حقيقة العرض الذي يجري على المسرح؟ يجيب الدكتور الخوري على هذا السؤال بما يلي. إنّ العرض على المسرح يرتكز على نقطتين:

• النقطة الأولى: عندما يكون التنويم عملاً ترفيهياً استعراضياً يقوم به المنوّم للتسلية وكسب المال.

• النقطة الثانية: عندما يكون المنوّم على اتفاق مسبق مع الشخص النائم الذي يختاره من بين المتطوّعين.

انطلاقاً من هذين الموقفين يجري تفسير وكشف أسرار التنويم المغناطيسي المسرحي. فالمتطوّع يكون قد تدرّب سرّاً على التمثيل المطلوب منه بحيث إنه لا يمكن مطلقاً التفريق بين التمثيل والإيحاء الحقيقي. وعندما نرى أنّ النّائم ينفّذ أوامر المنوّم بكل دقّة فما ذلك إلاّ لإثارة فضول الناس المشاهدين وزيادة انتباههم. وهنا لا بد أن نشاهد بعض الظواهر عند النائم كالرقص والبكاء والصياح والضحك والرجفان وتبلّل الجسم بالعرق المتصبّب، كلّ ذلك ناتج عن إبرة خاصة تحقن في جسد المتطوّع قبل بدء الحفلة. وإنّنا أحياناً نرى المتطوّع يصبح كعمود بلا حراك فيوضع رأسه فوق طاولة ورجلاه فوق طاولة أخرى، فعلينا أن نعلم أنَّ كلّ واحد منا يستطيع أن يفعل ما يفعله المنوّم متى تدرّب المتطوّع تدريباً جيّدا على عمله لأن العرض مرجعه قوة الشخص الجسميّة. وإذا انتبهنا جيداً إلى هذا المشهد المألوف نلاحظ أن كتفيّ النائم هما اللتان تتكئان على الطاولة وليس الرأس، غير أن الدهشة التي تعتري الجمهور تجعله لا ينتبه إلى هذه الملاحظة. ولذلك يظنّ الجميع أنّ رأس النائم متّكىء على الطاولة. وبهذه الطريقة يكون جسم الرجل النائم متصلباً بقوة صامدة تجعله كأنه قطعة من الفولاذ لا تتحطم ولا تلتوي.

أما الوقوف على صدر النائم فيكون على طريقتين:

الأولى:

يضع صاحب الخفّة رجله اليسرى فوق كتف النائم اليمنى، متكّئاً عليها ويضع رجله اليمنى فوق فخذه الأيسر، وبهذه الطريقة لا يشكّل وزنه عبئاً ثقيلاً على النائم، لأنّ الوزن قد توزّع على النقطتين المرتكزتين على الطاولتين المستعملتين في الخدعة.

الثانية:

إذا كان النائم متمرناً كفاية، فهو يستطيع تحمّل وقوف شاب على بطنه، وهذا الشاب يستطيع أن يراوح برجليه فوق بطن النائم دون صعوبة، مما يثير إعجاب الجمهور. وعندما يعرف الجمهور بواسطة بعض المتطوّعين أن نبض النّائم قد خفّ أو توقّف تماماً فهذا لا يعني أنّ القلب قد توقّف عن الخفقان، لأن ذلك يؤدي مباشرة إلى الموت، لكنّ صاحب الخفّة يقول إنّ النبض له علاقة مباشرة بخفقان القلب (وهذا من الوجهة الطبيّة كلام حق) ليوهم النّاس أنّه أوقف خفقان القلب بينما هو بالفعل قد أوقف النبض فقط. إنّه من المعقول أن نوقف النبض دون أي خطر، ولكن ليس معقولاً أن نوقف عمل القلب دون هلاك صاحبه. فعندما يقول صاحب الخفّة إنّه سيوقف خفقان القلب يشدّ النائم عضلات ذراعيه بحيث إنّ المحرمة الموضوعة بطريقة فنيّة وغير ظاهرة تحت إبطه تقطع مجرى الدم في العروق مما يؤدي إلى اختفاء النبض.

وبهذه الطريقة عندما يصعد أحد المشاهدين إلى المسرح، ويتأكد بنفسه من توقّف النبض، يتوهّم أنّ قلب النائم قد توقّف حقيقة عن الخفقان! وبعد ذلك يبادر النائم إلى إرخاء عضلاته المشدودة فيعود النبض إلى العرق. عندئذ يقول صاحب الخفّة إنّه أعاد النبض إلى حاله الطبيعية راجياً من الجمهور التحقّق من الأمر أو أنّه أحياناً يترك الجمهور يظنّ أنّ انقطاع خفقان القلب قد استمرّ طوال الوقت.

وعندما نرى أن النائم يستطيع أن يحمل على صدره أو بطنه ثلاثين كيلوغراماً من الحجارة القابلة للكسر بسهولة، ويتمكّن صاحب الخفّة من كسرها بالمعول فمردّ ذلك إلى عامل فيزيائي.

فبقدر ما تكون الضربة شديدة وقوية على الحجر بقدر ما تتوزع قوة الضربة بحيث لا تمسّ الصدر بأي أذى لأنّ قسماً كبيراً منها يتبعثر من أجزاء الحجر المتبعثرة، وهكذا لا يشعر النائم بأي ألم ولا يصاب بأدنى خدش. وعندما يفتّت صاحب الخفة الحجر يكفّ عن الضّرب حتى لا يؤذي النّائم ويكون الجمهور قد اقتنع بما رأى.

وأخيراً يجري إيقاف الرجل على رجليه بمساعدة المتطوعين ويروح المنوِّم يسأل النائم: هل وهل وهل تذكر ماذا حصل فيجيبه الرجل أنّه لا يذكر شيئاً.

وبعد هذه التمثيليّة يشعر النائم بتعب خفيف لدقائق معدودة، ثم يحل به ظمأ شديد فيطلب كأساً من الماء كما هو متّفق عليه سابقاً

ولا يذكر شيئاً مما حصل ليزيد من دهشة المشاهدين.

هذه هي أسرار الخدعة المسرحية التي تسمّى خطأ وزوراً وبهتاناً «تنويماً مغناطيسياً» والتي كانت ولا تزال مشهداً مسلّياً في الحفلات العامة.

علاقة الحاسّة السادسة بالتنويم

هل صحيح أن ما يسمّى بالحاسّة السادسة تعمل خلال التنويم؟ وما هي هذه الحاسّة السادسة وما هي طريقة عملها؟

يعتبر البعض أنّ الحاسّة السادسة هي نوع من القوّة الفيزيائية التي تدرك ما حولها بواسطة إشارات مادّية، ولا تتوفر هذه الحاسّة إلاّ لذوي الخبرة العلمية. فانتقال المعرفة إلى الإنسان عن طريق هذه الحاسّة يختلف عن الانتقال المادي الكلاسيكي المعروف في عالم الطبيعيات. فالمواد والقوى والحقائق الطبيعية محدودة في المكان والزمان. أمّا قوى الحاسّة السادسة فلا يمكن تحديدها بالمكان والزمان سواء أكان ماضياً أم حاضراً أم مستقبلاً، لأنّها لا تتقيد بها. ولا نعرف حتّى اليوم قوى مادّية لها تلك الخاصّية نفسها.

إن علماء البارابسيكولوجيا يعتبرون أنّ الحاسّة السادسة هي إحدى خصائص الإنسان الأساسية، ومن السخافة وعدم الثقافة أن نعتبر أنّ هذه المعرفة صادرة عن تدخّل أرواح الأموات أو غيرها. والحقيقة التي نؤكد عليها لا علاقة لها بأي قوّة سحرية خارقة في الإنسان. وإن قلّة ظهور الحاسّة السادسة قد يعود إلى عدم معرفتنا

بالعوامل التي تعتمد عليها فضلاً عن أننا لا نزال بعيدين عن معرفة ماهيتها وعن الارتباطات النفسية والاجتماعية التي ترتبط بها بشكل واضح.

إمكانات الحاسّة لسادسة

يحاول البارابسيكولوجيون اليوم كشف غوامض الحاسّة السادسة وإخضاعها للمراقبة الإراديّة، لأنّهم عندما يتوصّلون إلى ذلك، يستطيعون عندئذٍ التدليل على قدرة الإنسان العظيمة ومقدرته على كشف أسرار الكون بشكل سريع ودون حاجة إلى الآلات الإلكترونيّة. هناك كثيرون يعتقدون أنّه في المستقبل إذا استطاع الإنسان معرفة قوانين الحاسّة السادسة والتحكّم بها إرادياً سوف يحدث تقدّم كبير في عالم الطب وغيره من العلوم، فيمكن أن يصبح من السهل تبادل الأفكار بشكل طبيعي على مسافات بعيدة والاستغناء عن استعمال الهاتف والرادار. وقد تلعب الحاسّة السادسة دور السلاح الخطير فضلاً عن استخدامها لأغراض سلميّة، كالاستعانة بهذه الحاسّة لكشف الجرائم المرتكبة واعتقال المجرمين أو تحديد أماكن وجودهم. غير أنّ هذه الافتراضات لا تزال دون إثبات ويجب أن لا نعوّل عليها كثيراً في الوقت الحاضر. ولكنّ البارز الآن أننا نرى بعض الدول الكبرى تستعين برجال يدّعون أنّهم يتمكّنون من استخدام هذه الحاسّة الباطنيّة طمعاً في زيادة المعلومات السياسية في مجال الاستخبارات للكشف عن أسرار الدول المعادية أو المجاورة.

عمل الحاسّة السّادسة أثناء التنويم

إن إحدى الطرق التي توصلنا إلى مراقبة ودراسة الحاسّة السادسة هي « التنويم الإيحائي ». والحاسّة السادسة التي هي على أشكال متعددة يمكن أن نحاول درسها بواسطة تجربة خاصّة تعرف بالإنكليزيّة بـ: Experience out of body. (E.O.O.B.) ، أي، إننا نوحي للشخص النائم مثلاً بأن يعود إلى الزمان الماضي ويأتينا بمعلومات خاصة دون أن تكون هناك أي صلة بين الماضي والحاضر. وبكلمة أخرى يشعر النائم وكأن روحه تجري خارج إطار الزمان والمسافة وهذا ما يسميه أرباب علم الغيب خطأً « رحلة الجسم الأثيري ». فالشخص الذي يقوم بهذه التجربة يكون على اقتناع أنّ روحه قد غادرت جسده، وأصبحت في مكان بعيد وزمن بعيد حيث يستطيع الحصول على المعلومات التي يطلبها منه المنوّم، ويستطيع وصف الأحداث التي تحصل هناك. ويعتقد بالتّالي أنّه يعيش تجربة « الرّوح خارج الجسد » ويكون حصوله على المعلومات قد تمّ بفضل حاسّته السّادسة دون سواها.

وأحياناً يكون وصف النائم ناتجاً عن تداعي الأفكار وعن تصوّرات باطنية، فيأتينا بما يجول في خاطره، مستنداً إلى ثقافته ومعلوماته السابقة، فلا داعي في هذه الحالة إلى تصديقه. غير أنّه في بعض الأحيان خصوصاً إذا كان لدى النائم قابليّة بارابسيكولوجيّة فعلية، فقد يدرك بالفعل، كلّ ما حصل في المكان البعيد، أو في زمان مضى بطريقة عفوية صادرة عن عقل الإنسان الباطن. فالنّائم لم ينتقل إلى المكان البعيد والزمان الماضي

إلا بفكره الشارد في أثناء النوم، وذلك بواسطة حاسته السادسة التي تمكّنه الإجابة عن كل ما نريد.

واستناداً إلى ذلك يجب التنبّه إلى عدم الوقوع في خطأ الاعتقاد بأنّ ما يتوهّمه النائم هو عبارة عن انفصال الروح والجسد سواء أكانت المعلومات خاطئة أم صحيحة. فعندما يكون النّائم في أقصى درجات الإيحاء نسأله بإصرار عمّا فعل في وجوده السابق على الأرض فيجيبنا عن عنديّاته، فلنعلمْ أنّ هذا الجواب يكون من نسج خياله فقط، لأنّه أجبر على الإجابة دون أن يكون له أي مرجع واقعي يستند إليه، فيعمد عندئذٍ إلى تصوّراته الفكريّة. وإذا استعان النّائم بالتخاطر أو بشدّة الإحساس المتزايد أو باستباق المعرفة أو كان سهل الإيحاء عن قرب أو عن بعد، فلا نعجب إن أحسن في نومه خاصة بفضل الإيحاء، أن يأتي بما نطلب منه من معلومات. فما دمنا نستطيع تفسير هذه المسائل بارابسيكولوجياً فليس من داع لتفسيرها بأي شكل آخر، سواء أكان بعقيدة التناسخ أو بالرحلة الأثيريّة أو غيرها من النظريّات، لأن ما يمكن تفسيره بالسّهل لا يجوز تفسيره بما هو أصعب. إنّ تجربة «الروح خارج الجسد» ليست إلاّ طريقة واحدة من الطرق العديدة التي تظهر بها الحاسّة السّادسة. فأحياناً نكون في سريرنا ونحلم أننا على ظهر حصان أو في سفينة ونحن في الحقيقة نائمون في بيوتنا إن كنّا في الحلم بعيدين. فالتنويم الإيحائي الاختباري يعتمد على أن يكون النّائم تحت سيطرة المنوّم ومستعداً لتنفيذ أوامره وقبول الإيحاء منه بشكل سهل، فيرتجف أو يضحك أو يشتمّ رائحة كريهة باشمئزاز

أو يتصرّف كطفل صغير أو يغنّي مقلّداً نجوم الطرب. ويمكننا في اختباراتنا التنويميّة أن نوحي للنائم بأنّه على بعد آلاف الكيلومترات فيصف لنا ما يوجد في ذلك المكان البعيد بدقّة وملاحظة.

تجارب في أثناء التنويم

في القسم الثاني من القرن التاسع عشر أصبح التنويم حقلاً للأبحاث الطبيّة لدرجة أنّه أنشئت في فرنسا مدرستان للعناية به وهما مدرسة نانسي (Nancy) برئاسة الدكتور «امبرواز ليبو» (Ambroise Liebault) الذي كان يعتقد أنّ التنويم هو نتيجة إيحاء ليس غير. ومدرسة باريس برئاسة الدكتور «شاركو» (Charcot) الذي كان يعمل في مستشفى «لاسلبترير» (La Salpetrière).

وقد كثرت التجارب التي أجريت على عدد من النّاس بواسطة الإيحاء، وسنكتفي ببعض الأحداث التي حصلت في حال النوم الإيحائي:

- قام الدكتور بيار جانيه (Pierre Janet) بإجراء اختبار لتأكيد التخاطر بينه وبين أحد التلاميذ المتطوعين. وبعدما استعمل الإيحاء وجعله يسترسل في النّوم ابتعد عنه إلى مكان بعيد، وكلّ مرّة كان الدكتور يغرز دبّوساً في جسمه كان النّائم يظهر وجعاً ويصف مكان دخول الدبوس في جسم الدكتور بدقّة.

- يؤكد الدكتور عزام أن أحد مرضاه كان يعرف دون تردّد أثناء نومه الاصطناعي ما كان يضعه في فمه عن بعد، مع العلم أنّ

المواد لم تكن لها رائحة يمكن للمريض أن يشمّها عن بعد.

• قام الدكتور «جيلبر» بمعاونة صديقه «جانيه» بتجربة مع المريضة ليوني Léonie التي كانت تسترسل بسهولة في النوم الاصطناعي. ويقول الطبيب المذكور: إنّه كان من السهل جعل المريضة تنام وتستيقظ وهي بعيدة ألف متر على الأقلّ عن موضعه وذلك بتأثير تفكيره فقط. فكان «يرسل» لها فكرته ويأمرها بالنّوم أو الاستفاقة وحتى السّير في اتجاه معيّن.

والذي يستدلّ من كلام الدكتور روجيه الخوري أن التنويم هو حال يسهّل ظهور القابليّة البارابسيكولوجيّة. فطالما أن هذه القابليّة باطنيّة، والتنويم هو إحدى الطرق التي وصل إلى الباطن، فهو إذن من أنسب الأحوال لظهورها. وكلّما كان الشخص قابلاً لالتقاط الأفكار المرسلة عن بعد، سهُل ظهورها. لهذا السبب يُعتبر النوم عاملاً مسهّلاً لظهور القابليّة البارابسيكولوجيّة، والشخص الذي يكون سهل الإيحاء، وإن لم يكن نائماً، يعتبر أهلاً لها.

نتائج ميلان ريزل في حقل التنويم

إنّ الدكتور ميلان ريزل (Milan Ryzl) الاختصاصي في حقل البيو - كيمياء والطبيعيّات وعلم البيولوجيا هو من أهم البارابسيكولوجيين في حقل الاختبار بواسطة الإيحاء. بدأ أبحاثه في تشيكوسلوفاكيا، وهو الآن يتابعها في الولايات المتحدة بكاليفورنيا.

اهتمّ ريزل في أبحاثه بإيجاد أشخاص ذوي مواهب خاصة لدراسة أسس البارابسيكولوجيا. فاستعمل التنويم سبيلاً لغرضه، ومرّن العديد من المتطوّعين الذين كانوا يقصدونه خصّيصاً لذلك. فكان يطلب منهم وهم نيام أن يفكّروا بأحداث معينة ومهمّة تاريخية أو دينيّة أو بأشخاص لهم شأن ماتوا أو ما زالوا على قيد الحياة، وذلك حتى يكتشفوا كلّ معرفة خاصّة بهم. وقد وضع عدّة كتب ذكر فيها استنتاجاته في أبحاثه النفسيّة بكل دقّة وتعليل، وتتلمذ على يديه أساتذة مثل « بافيل ستيبانيك » (Pavel Stépanek) « وجوزيفكا » (Josephka).

ويخبرنا في أحد مؤلفاته أن تلميذته جوزيفكا استرسلت ذات يوم في نوم عميق، وأمرها بتتبّع آثار إحدى صديقاتها والإدلاء بما يحصل معها أو ما قد يحصل لاحقاً. وبالفعل بدأت جوزيفكا بعد وقت بالكلام على صديقتها التي تسكن على بعد ٨٠ كيلومتراً تقريباً. وأعلمت أستاذها أنّها تجلس في مطعم تنتظر خطيبها، وأشارت إلى أنّ رجلاً اقترب منها في تلك السّاعة وتكلّم معها، ثم اصطحبها على درّاجته الناريّة، وسار بها في طريق موحش مقفر. وصرخت جوزيفكا فجأة لصديقتها خلال التنويم بألاّ تذهب معه لأنّه يريد بها سوءاً. وعند وصول الشخص إلى مكان غير مأهول صرخت جوزيفكا مذعورة قائلة: « يا إلهي! إنّه يمزّق تنّورتها » ثم أكملت رؤياها ساردة تفاصيل الحادثة التي تعرّضت لها صاحبتها وكيف أنّ الرجل اغتصبها. وعندما استفاقت جوزيفكا من نومها الإيحائي أخبرها أستاذها بما كان فأسرعت إلى الهاتف لتعلم

صديقتها ما رأته خلال نومها الإيحائي لتستفيد من هذه الرؤيا. فما كان من صديقتها إلاّ أن قالت لها: إنّها تأخرت بإعلامها بهذا النبأ لأنّ الحادث قد حصل البارحة بالفعل كما كان في الرؤيا وفي الوقت نفسه تقريباً، وقد رضيت بالخروج مع ذلك الرّجل الكاذب الذي قال لها إن خطيبها الذي تنتظره قد طلب منه أن يوصلها إلى مكانه.

لقد أدركت جوزيفكا في الوقت نفسه أثناء نومها ما يحصل لصديقتها لأنّ العاطفة التي تجمع بين الصديقتين هي خير وسيلة لإثارة العقل الباطن وهي التي أيقظت القابليّة البارابسيكولوجية أي الحاسّة السّادسة. إنّ قابلية جوزيفكا الباطنيّة تستطيع استباق المعرفة أو استخدام التخاطر أو القيام بأي ظاهرة أخرى.

تأثير اختبارات ريزل عند سائر الباحثين

لقيت أبحاث ريزل نجاحاً كبيراً في البلاد الاشتراكيّة حيث تدرّس البارابسيكولوجيا بجدّيّة. وكان الطبيب «فلاديمير رايكوف» (Vladimir Raikov) الاختصاصي بالأمراض العقلية قد سار على منهج ريزل. فأجرى بعض التمارين على أصحاب القابليّة البارابسيكولوجيّة كي يتملكوا قواعد الفنون والرّسوم. فكان رايكوف ينوّم الموهوب ويوهمه أنّه أحد الرسّامين المعروفين عالمياً من أمثال «رفائيل» (Raphael) أو «ميكالانجلو». وبالفعل وبعد تمارين مستمرّة كان المتطوّع أثناء نومه يرسم كأنّه رفائيل أو أنجلو. وجدير بالذكر أنّ هؤلاء الموهوبين لم يكونوا رسّامين سابقاً، وإنّما

أصبحوا فنّانين بفضل الإيحاء الذي سيطر عليهم أثناء التنويم.

قد يساور القارىء الشكّ في تصديق هذه التجارب، ولكن لا بدّ من التذكير بأن ستالين شجّع هذه الأبحاث البارابسيكولوجية خلال الحرب العالمية الثانية متوخّياً تطبيق نتائجها في الحرب. أضف إلى ذلك أن كبار الأطبّاء والعلماء هم خير دليل على صحّة الاستنتاجات ومقامهم العلمي يؤكد ضمان الاختبار. وقد أجريت مئات وربّما ألوف التجارب العلمية التي لا مجال لذكرها في هذا السياق، ولكن لا بد من التعليق عليها باختصار:

الإيحاء عن بعد

إنّ الإيحاء عن بعد يمكن أن يحصل إذا توافر شرطان:

ـ الأوّل: على الشخص المقصود أن يكون عالماً بما سيحصل له وبوقت التجربة بالضّبط، أي أن يكون مستعداً للنوم الإيحائي عن بعد، فيستسلم له وكأنّه أوهم نفسه بذلك. ولا نعجب من تجربة الفقير الهندي الذي استطاع تنويم أربعة أشخاص، كلّ واحد في نقطة بعيدة عن الأخرى، في وقت معين كان الجميع يعلمون به. ولا نعجب من حصول حالات «شفاء عن بعد» تحصل لأشخاص ساذجين يصدّقون بسهولة الأخبار الغريبة، وهم على استعداد لتقبّل شتّى المذاهب السحريّة بسبب ضعف تفكيرهم وشدّة سطحيتهم وإيمانهم بالعجائب والخوارق التي يدّعيها المشعوذون، وهم ينتظرون شفاءهم من أمراضهم على يد الوسطاء الروحيّين والجرّاحين الفكريّين.

ـ الثاني: على الشخص المقصود أن لا يكون على علم بالأمر، كما حصل في التجربة الأولى لأنّ نسبة النجاح في حقل الإيحاء عن بعد لم تصل إلى نسبة ٤ بالمائة. ويبقى الإيحاء عن قرب أكثر تحقيقاً للنجاح وتبقى نتائجه تحقّق نجاحات متعددة في مجال اكتشاف الغيب وشفاء الأمراض.

طاعة النّائم للمنوّم

يبقى النائم عادة بتصرف المنوّم، ولكن ضمن حدود وشروط. فإن كان النائم ذا صفات طيّبة وخصائص خلقيّة يتحلّى بها أثناء اليقظة فإنّه لن يخالفها في حال النّوم، ذلك أنّ ضمير النائم يظل معه. وما يمتنع عنه عقل الإنسان الظاهر لا يمكن أن يقبل به عقله الباطن، وهذه حقيقة أكدت التجارب صحتها بما لا يقبل الشكّ. ومهما حاول المنوّم إجبار النائم على القيام بأعمال مخالفة لمعتقداته فلن يفلح بذلك أبداً وربما يفشّل عمليّة التنويم من أساسها. وإن حصل ما يثبت عكس ذلك فيكون اتّفاقاً مسبقاً بين المنوم والنائم.

ولا بد هنا من التذكير بالتجربة التي أجريت في فرنسا أمام طلاب معهد الطبّ حين انتقى الأستاذ المنوّم شخصين أحدهما امرأة عاهر والآخر راهبة، فنوّمهما أمام الجميع. ثم أمر العاهر أن تخلع ملابسها ففعلت أمّا الراهبة فلم ترضخ للطلب ذلك أنّ الأولى لم ترَ أيّ سبب يعاكس تصرفاتها السابقة في الحياة فنفّذت الأمر وكأنّه شيء طبيعي، أمّا الثانية فلم تعتد عليه فرفضت تنفيذه. ولا بد هنا من التأكيد على فرضيّة معيّنة وهي استجابة الراهبة لتنفيذ أمر

المنوّم بخلع ثيابها، فإنّنا ولا شكّ نستنتج أنّ الراهبة استجابت لأمر المنوّم عن اقتناع، ذلك أنّ هذه الراهبة ليست على اقتناع تام بمهمتها وموقعها الديني، وما تنفيذ الأوامر في تلك الحالة إلاّ استجابة لحقيقة أمرها فيكون عملها مرآة لنفسها كما هي في الواقع وليست كما تبدو ظاهرياً.

هناك سؤال يطرح نفسه على هواة التنويم وهو: أيستطيع المنوّم اغتصاب فتاة دون علمها أو رغماً عن إرادتها خلال عمليّة التنويم؟

إنّ الجواب صريح وهو أنّه لا يمكن اغتصاب فتاة خلال التنويم الإيحائي. فإذا كانت الفتاة لا تريد ذلك وفقاً لمبادئها الشخصية فإنّه لا يمكن تنفيذ ما يتعارض مع هذه المبادىء خلال النّوم. إنّ تكوين شخصية الفتاة لا يكتمل بمدّة وجيزة من الزمن وإنما يتطلّب سنين عديدة، فإن تعوّدت الفتاة في حياتها على الابتعاد عن العلاقة الجنسية واتخذت هذه الطريقة قاعدة أساسيّة في حياتها نفهم عندئذٍ الصعوبة الناتجة عن عصيان قوانين ضميرها. وإذا حصل مرة واستجابت فتاة خلال النّوم لمثل هذا الطلب فإنّها تفعل ذلك بناء على علاقة عاطفية تربطها بالمنوّم، فلا تبوح بذلك في يقظتها بل تستعين بالنوم كذريعة للبوح بمشاعرها نحو المنوّم. وهذا شواذ لا يصلح أن يكون قاعدة.

غسل الدماغ في أثناء التنويم

يلجأ بعض أطبّاء التنويم إلى القول بأنّه يمكن بفضل إيحاءات عديدة وتحضير طويل غسل دماغ النّائم بطريقة خادعة، وحيل

بسيكولوجيّة تكون مدروسة حسب شخصيات الأفراد وانسجاماً مع نفسيّاتهم، فيوحى إليهم أنّ ما هو سيّىء ومبتذل قد يصبح صالحاً أو ما هو غير شرعي قد يتحول إلى شرعيّ. لكنّ الطبيب «برتولد ستوكفيز» (Berthold Stokvis) يقول لنا إنّ جميع التجارب التي مورست بإشرافه حول هذه القضايا أدّت إلى نتائج تناقض ما يزعمه هؤلاء الأطبّاء من إمكانية تنفيذ الأشخاص لأوامر المنوّم إذا كانت هذه الأوامر تخالف رغباتهم النفسية الأصليّة. فكان هؤلاء الأشخاص يستفيقون من نومهم وعلى وجوههم علامات الإرهاق والقلق والاستنكار فلا يقبلون بإعادة التجربة. وهنا ينبّه الأطبّاء إلى خطر تنويم الشخص إذا كان ضعيف الشخصيّة لا يحسن التفرقة بين الحقّ والباطل والخير والشرّ، فقد يستطيع المنوّم إذا عثر على أمثال هذا الشخص أن يصل إلى غايته ولكنّ المتطوّع سرعان ما يعود إلى حقيقة الأمر، ويكتشف أنّه كان ضحيّة رغبات المنوّم فيندم ندماً شديداً، وكثيراً ما يقع في حالة نفسيّة صعبة الشّفاء فيما بعد مما يكلّفه غالياً طوال حياته.

منافع التنويم

لا شكّ أنّ للتنويم منافع عديدة تتناول مختلف شؤون الحياة. فقد دلّت الوقائع أنّه يمكن استخدام التنويم مع رجال الأمن بحيث يستطيعون أن يتذكروا المعلومات المنسيّة عن جرائم مرتكبة في وقت سابق. فأرقام السيارات المخالفة وأرقام بطاقات السائقين قد ينساها البوليس أو يفقدها أو تتعرّض للحريق نتيجة أعمال

جاسوسية وغيرها، فيستطيع البوليس أن يستعيد هذه المعلومات عن طريق التنويم. وقد استعملت هذه الأساليب بشكل إيجابي لا يمكن نكرانه. غير أنّ هذه القاعدة لا توصل دائماً إلى النتائج المرضية مما يقلّل من قيمة استعمالها وتعميمها في هذا المجال.

ومن فوائد التنويم أيضاً أنّه يسهّل كشف الجرائم أو إجبار المتّهمين على الإدلاء بالحقيقة التي يخفونها. ولكنّ القانون يعتبر هذه الوسائل مساساً بالحريّة الشخصيّة لأنّه لا يمكن إجبار الإنسان في حالة اللاوعي على التصريح بما لا يريد. إنها مسألة تتطلّب خبيراً في الأمور الدينيّة والشرعيّة وغيرها.

من منافع التنويم أنّه يساعد على شفاء بعض الأمراض النفسيّة المستعصية وإقناع النائم بالتخلّي عن العادات السيّئة كالإدمان على التدخين أو شرب الكحول أو بعض الحركات العفوية.

ومن الفوائد التي نجنيها عن طريق التنويم شفاء الضغط العالي خصوصاً لدى النّساء لأنّهنّ أكثر قابليّة من الرجال، كما يمكن أيضاً شفاء أو تخفيف الأوجاع الناتجة عن القرحة المعوية والرّبو العائد إلى أسباب نفسيّة، كما أنّه يمكن مساعدة المرء على شفائه من القلق الليلي وقلّة الشهيّة أو شدّتها للأكل. كذلك يساعد التنويم على احتمال الحروق المؤلمة وأوجاع السرطان، وربما يأتي التنويم بنتائج إيجابية للحساسية الجلديّة أو الصلع في أوّل بدئه إلى غير ذلك من الأمراض كالتعثر بالنطق أو الثأثأة في الكلام واستعادة الصوت بعد فقدانه وقضم الأظافر والتبويل الليلي اللاإرادي عند الصغار وبذل

الجهد في الدراسة المدرسية وغيرها.

فوائد جراحيّة

يستعمل التنويم أحياناً بدلاً من البنج في العمليات الجراحيّة وذلك عندما لا يستحسن المخاطرة بالعقاقير الطبيّة نظراً لحال المريض كمرض القلب مثلاً أو نتيجة الحساسية بأدوية البنج المستخدمة أو عدم توفّر هذا البنج في زمن الحرب أو عدم قبول المريض به إلى غير ذلك من الأسباب.

عندئذٍ يمكن أن تجري عمليّة جراحيّة بواسطة التنويم دون الإحساس بالوجع في معظم الأحيان. وقد استخدمت هذه الطريقة في الولايات المتحدة والسويد واسبانيا. غير أنّ التحضير النفسي للتنويم يتطلّب وقتاً أطول من الوقت الذي يتطلّبه البنج مما لا يسمح بالقيام بعمليات جراحية إلاّ إذا كان هناك سبب يحول دون استعمال البنج. أضف إلى ذلك أنّ المريض قد يستفيق من نومه الإيحائي قبل نهاية الجراحة وهذا ما يسبب آلاماً شديدة ويعرّض حياة المريض للخطر المؤكّد.

فوائد رياضية ولروّاد الفضاء

عمد المدرّبون الرياضيّون إلى اتخاذ طريقة التنويم للإيحاء إلى رجالهم بالفوز في المباريات الدوليّة ولإحراز الانتصارات العديدة.

وهذا ما جعل من التنويم طريقة ذات فعاليّة وأداة للفوز في شتّى أنواع الرّياضة. وقد اصطلح أيضاً أن يُطبّق التنويم حسب

المستطاع لتخفيف قلق وصعوبات ومخاوف روّاد الفضاء أثناء رحلاتهم إلى الفضاء الخارجي.

فوائد للتوليد والجنس

يذكر أحد الأطباء النّسائيّين أنّ النّساء كنّ يذهبن إليه قبل موعد الولادة فكان يحضّرهن نفسياً قائلاً بأنّ الولادة عمليّة سريعة لا تتطلّب عقاقير أو عمليات أخرى لإنهائها.

ويعتقد البعض أنّ التنويم يساعد على حل المشاكل الزوجية كالخجل وغيره فيوحي المنوّم إلى أحد الزوجين أو إليهما على السواء بأنّ العمل الجنسيّ شيء عاديّ طبيعي وأن الممارسات التي ترافقه أو تنتج عنه أو تسبقه هي أعمال طبيعيّة.

الأخطار الناجمة عن التنويم

إلى جانب فوائد التنويم هناك بعض المخاطر التي يجب أن نشير إليها ونحذّر من ممارستها.

إنّ الخطر الحقيقي يكمن في احتكار التنويم من قبل جماعة المنوّمين المسرحيّين الذين يعتبرون أنّ هذا العمل هو فن وليس علماً. فإنّهم يلجأون في بعض الأحيان إلى تنويم أشخاص كانوا يعانون أمراضاً نفسيّة، فيعود هؤلاء الأشخاص إلى حالتهم المرضية السابقة ويتعذّر شفاؤهم بعد ذلك. لذلك يجب أن يقتصر عمل التنويم على

الاختصاصيّين بالأمور النفسيّة سواءً أكان على المسرح أم في البيوت. إن الذي يمارس التنويم بطريقة غير شرعيّة يجب أن يلاحق من قبل القضاء وأن يمثل أمام المحاكم حفاظاً على صحة النّاس وسلامة حياتهم النفسيّة ولرفع مستوى الطبّ وعلم النفس.

وهناك من يعمد إلى التنويم سعياً لكشف أسرار النّاس والتمكّن من السيطرة على أفكارهم. فنراه يحاول تنويم شخص معين بناء على رغبة شخص آخر أو لقاء مبلغ مالي فيهتك سرّ النّاس ويكشف علاقاتهم ويفضح مشاريعهم، وهذه الممارسات تعود بالضرر على البعض وينتج عنها سلبيات لا يمكن إحصاؤها.

ولا ننسى العواقب المضرّة عندما لا يحسن المنوّم إيقاظ النائم حسب الأصول. فقد يوقظه بسرعة مما يسبب له اضطراباً نفسياً وقد يوقظه جزئياً فيسبب له أحداثاً لاحقة ربّما في قيادة سيّارته. ولكن المنوّم عندما يكون خبيراً في مجال عمله يمكنه أن يتجنّب هذه المضاعفات الخطيرة. وقد أوردنا في غير مكان من هذا البحث الوسائل التي يجب اعتمادها في عملية الإيقاظ والتي اعتمدها كبار العلماء، وهي متعددة ومن شأنها إلقاء الضوء على شروط نجاح عملية الإيقاظ.

رأي الدكتور فؤاد صروف في التنويم المغناطيسي

قال الدكتور فؤاد صروف في كتابه «رسائل الأرواح»:

يكثر ورود المشعوذين على هذا القطر في فصل الشتاءِ وبينهم أناس يدَّعون معرفة الغيب واكتشاف الغوامض بالاستهواءِ أو شفاء الأمراض والأوصاب بهِ فتكثر علينا مسائل السائلين عن كشف ما يرونهُ من الغرائب أو صحّة ما يدّعيه أصحاب الاستهواء من شفاءِ الأمراض.

وقد كتبنا عن التنويم والاستهواء فصولاً كثيرة في السنين الماضية ولا نرى بأساً الآن بذكر خلاصة ما حققهُ العلماءُ في هذا الموضوع مقتطفاً بعضهُ من مقالة فيهِ للدكتور هرلد هايس.

(١) تاريخ الاستهواء

الاستهواءُ قديم مارسهُ البابليون والأشوريون والهنود والفرس وغيرهم من الشعوب القديمة وكان كهنتهم يستهوون الناس أو يستهوي بعضهم بعضاً فيصابون بشيء من الصرع والانجذاب. ولعلّ كثيرين من كهّانهم وأنبيائهم كانوا من المعرّضين للاستهواء الذاتي

فتصبيهم غيبوبة يدّعون أنّ نفوسهم مضت فيها إلى عالم الأرواح ومعاهد الآلهة ثم ينبئون بما رأوهُ في أحلامهم أو توهَّموا أنهم سمعوهُ فيها. ولا يزال فقراءُ الهند يفعلون ذلك إلى الآن: يصيبهم نوع من الذهول أو الانجذاب فيتخذون ذلك وسيلة للتعيش والتدجيل.

وشاع الاستهواءُ في أوربا مدة القرون الوسطى، ولكن لم يبحث فيهِ أحد بحثاً علميًّا إلاَّ في أواسط القرن الثامن عشر. وأوّل من نبَّه الأفكار إليهِ فردرك مسمر.

ولد هذا الرجل في أواسط سنة ١٧٣٣، ودرس الطب في ڤينا ورغب في علم التنجيم وكان يظنّ أن للنجوم تأثيراً في أحوال الناس ونسب هذا التأثير إلى الكهربائية ثم إلى المغنطيسية، وجعل يحاول معالجة المرضى بالمغنطيس إما لسخافة عقلهِ أو لأن علم الطب كان قد انحطَّ إلى درجة التدجيل. وكان في سويسرا قِسّ اسمهُ غسنر يدَّعي أنهُ يشفي الأمراض بالكلام والإشارات فيوقف المريض أمامهُ ويستهويه بتلحين بعض الألحان ويقول لهُ: لقد شفيت من مرضك فيشفى. ولعلهُ كان يفلح في شفاء الأمراض العصبيَّة أو الانفعالات الحادثة عن فعل عصبي. أما هو فكان يدَّعي أن المرض فعل شيطاني وهو يُخرج الشيطان من المريض أو يزيل سلطتهُ عنهُ فيشفى. فلما رآهُ مسمر ورأى أنهُ يشفي الأمراض من غير مغناطيس لم يعد يعبأ بالمغناطيس بل قال إن قوة الشفاءِ تصدر من الإنسان نفسهِ وتؤثّر في المريض فسماها المغناطيسيَّة الحيوانية.

وانتقل مسمر إلى باريس سنة ١٧٧٨ فالتفَّ عليه خلق كثير ودعيت هذهِ القوة الغريبة بالمسمرزم نسبةً إليهِ وصدَّق بهِ كثيرون مَن الكبراء والعظماء فنقم عليهِ الأطباءُ وبيَّنوا أنهُ دجَّال. ولما كثر عليهِ المرضى المستشفون بعلاجهِ حتى صار يتعذّر عليهِ أن يعالج كلاً منهم على حدتهِ صار يربطهم بعضهم ويوصلهم بحوض كبير فيهِ قنان مملوءة بالماء وبرادة الحديد، ويجعل بعض المغنين يغنون لهم بأصوات رخيمة فيصيبهم نوع من الذهول أو الصرع الهستيري فيضطربون أو يضحكون أو يعانق بعضهم بعضاً. وبعد أن تمرّ عليهم ساعات على هذا النمط يصيبهم شيءٌ من الانجذاب والخمول.

قال المسيو بينه العالم الفرنسوي واصفاً تلك المشاهد.

« كان مسمر يلبس سترة من الحرير القرنفلي اللون ويمشي ذهاباً وإياباً بين الجمع المضطرب وبيده قضيب من الحديد يلتمس به أجسام المرضى المصطفين حولهُ، ولا سيما الأعضاء المريضة وقد ينظر إلى المريض طويلاً ويلمس بطنهُ وخاصرته ويكرر ذلك مرة بعد أخرى ساعات متوالية. وإذا أراد أن يزيد تأثيرهُ فيهم وصل بهم مجرًى كهربائياً قوياً. وجعل يلمس أبدانهم بأصابعه مبتدئاً برؤوسهم ومنتهياً بأقدامهم. وكانت الفيتات يُسررن بذلك ويتبعنهُ من مكان إلى آخر ويقلن إنه يستحيل عليهن أن لا يتعلقن بهِ.

والمظنون أن مسمر لم يكن خادعاً بل كان مخدوعاً بنفسه لكن أكاديميَّة العلوم ضيَّقت عليهِ فغادر فرنسا ثم عاد إليها وتوفي سنة ١٨١٥، واحتقرهُ الناس قبل موتهِ وقالوا إنهُ دجَّال وألَّفوا رواية

هزلية للسخرية بهِ. وكتبت الجرائد الإنكليزية وصفات طبية للهزء به مثل هذا الإكسير المغنطيسي: خذ من زيت الخوف والرعب أربع أواقٍ ومن روح الوهم رطلين وضع المادتين في زجاجة الخيال واتركهما فيها أياماً، واشرب من ذلك أربعين نقطة في الصباح فتشفى من كل الأسقام.

واقتفى كثيرون خطوات مسمر ولكن لم يبحث أحد منهم بحثاً علميًّا عن حقيقة المغنطيسية الحيوانية إلى أن قام الدكتور بريد الإنكليزي والظاهر أنهُ أنكر المغنطيسية الحيوانية في أول الأمر إنكاراً باتًّا لكنّهُ رأى رجلاً من الذين يستعملونها في التطبيب اسمه لافونتين فأقنعهُ بصحتها. قال لافونتين هذا في كتاب نشرهُ سنة ١٨٦٦ أي بعد موت بريد بست سنوات إنهُ شفى كثيرين من الخرس والعميان والمصابين بالصرع في مستشفى برمنهام، وعاد إلى لڤربول فلم يفلح فيها فمضى منها إلى منشستر فنجح فيها نجاحاً تامًّا وكسب منها ثلاثين الف فرنك ونوَّم كثيرين من وجهائها وشفى بعض المصابين بالصمم. ولما انصرف عنها قام الدكتور بريد وخطب خطبة برهن فيها أنّ المغنطيسية الحيوانية وهمٌ من الأوهام. وكتب بعضهم إلى لافونتين ليعود إلى منشستر ويرى ما يدَّعيهِ الدكتور بريد فعاد إليها ورأى أن الأساليب التي يستعملها الدكتور بريد للتنويم المغنطيسي لا ينام بها أحد، وأن بريد سمى المغنطيسية الحيوانية بالتنويم أو الذهول. إلاّ أن الذهول الذي أشار إليه الدكتور بريد هو الذي ثبت على الامتحان. وتعليله لهُ هو أول تعليل علمي وهو أن التحديق المستمر يشلُّ المراكز العصبية المتسلطة

على العين ويزيل توازن المجموع العصبي فيرتخي جفناها وينطبقان. فصار يمسك بيده شيئاً لامعاً أمام عيني من يريد تنويمهُ ويرفع يدهُ بهِ حتى يضطر الناظر إليهِ أن ينظر إلى الأعلى فيتعب سريعاً ثم يدني الشيء اللامع منهُ رويداً رويداً فتتعب أجفان عينيهِ وتنطبق وإذا لم تتعب في النوبة الأولى كرَّر ذلك عليها وأمر الناظر أن يوجِّه عينيهِ وعقله إلى ذلك الشيء.

وقام كثيرون من العلماء بعد بريد في أوربا وأميركا وبحثوا في التنويم وأساليبه وفوائدهِ ومضارهِ. وجمهورُهم على أن سببهُ الاستهواء وأنَّ الذين يُنوَّمون بسهولة تكون أعصابهم ضعيفةً وقد ينامون من غير استهواء، ولكن هذا لا ينفي فعل الاستهواء بالذين أعصابهم سليمة. واشتهر برنهيم في معالجة المرضى بالاستهواء، فصار الناس يقصدونهُ من كل فج ولقبوه برجُل الله.

ولذلك يقسم تاريخ التنويم أو الذهول إلى أربعة أقسام. الأول الزمن الذي مرَّ عليهِ قبل أيام مسمر حينما كانت أفعال التنويم إلى قوة روحية أو شيطانية. والثاني زمن مسمر حينما صارت تنسب إلى فعل مغنطيسي قائم في الشخص المنوّم. والثالث زمن بريد الذي نسب التنويم إلى فعل فسيولوجي محض. والرابع زمن برنهيم وشركو وغيرهما من الذين ينسبون كل ظواهر التنويم إلى فعل الاستهواء.

(٢) حقيقة التنويم

لكل إنسان حالات مختلفة من الشعور تتغير بتغيُّر المؤثرات التي تؤثر فيه. افرض أنّك جالس في نادٍ تسمع خطبةً علمية فما دمت

منتبهاً لها لا تشعر بشيء آخر شعوراً شديداً ، ولكن لا يكون دماغك خالياً من كل شعور لأنك قد تشعر أنّ المقعد الذي أنت جالس عليه بارد أو حار أو خشن وأنّ جارك قلق في مجلسهِ أو نائم وأنّ واحداً وراءك يتكلّم مع جاره. وقد تقوى هذه المؤثرات فيتحوَّل انتباهك إليها كما إذا شعرت بحرارة شديدة في المقعد الذي أنت عليهِ أو إذا كبا جارك لوجههِ فأصاب رأسهُ ظهر المقعد الذي أمامهُ أو علا صوت الرجل الذي وراءك فتصير أفكارك تثب من موضوع إلى آخر ، أي تتشتت ولا تبقى مجتمعة كما كانت أولاً. ويحدث لك مثل ذلك إذا نعست وصرتَ بين النوم واليقظة فإن الأفكار تتوارد على ذهنك حينئذٍ ، وكلٌّ منها يحاول أن يقيم فيهِ ليستأثر بهِ ويطرد ما سواه فتختبط الأفكار اختباطاً وتصير المؤثرات الخارجية تؤثر فيك تأثيراً كبيراً فإذا سخن فراشك ظننت أنك زججت في أتون ، وإذا بردت قدماك ظننت أنّك حافياً تمشي على الثلج ، وإذا كنتَ قد ثقَّلت عشاءك حسبت أنك في معركة دموية وجسمك هدف لنبال الأعداء. ثم تزول الأحلام رويداً رويداً فيزول هذا الشعور المختبط المرتبك ويستولي عليك السبات رويداً رويداً إلى أن تنام نوماً عميقاً خالياً من الشعور.

وهذا حال من ينام النوم الصناعي أو المغنطيسي : تضطرب أفكاره أولاً ثم تصير كالأحلام ثم ينام نوماً خفيفاً ثم نوماً عميقاً يستغرق فيه.

والنوم الطبيعي والصناعي متشابهان إلاَّ أن الصناعي يحدثهُ آخر ولا بدَّ لمن ينامهُ من أن يثق بفعل المنوّم وبالاستهواء ويستيقظ عقله

الباطن فيصير يتذكر أموراً نسيها في اليقظة ويعمل ما يؤمر به وتبدو عليه علامات الشعور بحسب ما يلقى إليه؛ فإذا أُطعم سكَّراً وقيل له هذا صبر تأفَّف من طعمه كأنه يأكل الصبر السقطري وإذا أطعم صبراً وقيل له هذا سكر استطاب طعمهُ كأنهُ سكر.

ويحدث هذا النوم من تعب الأعصاب كما قال الدكتور بريد أمّا سائر أفعال المنوّمين فلا تعلَّل بتعب الأعصاب بل بأفعالها المختلفة فالتيبُّس مثل الذي تتيبسهُ أعضاء النائمين النوم المغناطيسي سببه أن الدماغ ينبّه العضلات حتى تتوتر على أشد قوّتها. فإذا أمسكت فتاة عصا بيدها وحاولت نزعها منها طاوعتك عضلاتها حالما تتعب من الشد. هذا إذا كانت مستيقظة وأما إذا كانت نائمة النوم المغنطيسي فإن دماغها يأمر عضلاتها لكي لا تطاوع من يحاول نزع العصا منها. وَقوة العضلات شديدة جدًّا ولكننا لا نستعملها كلها في اليقظة.

وبذلك يعلَّل أيضاً زوال الألم من الذين ينامون النوم المغنطيسي فإنك إذا نخست أصبعك بإبرة فإنك تشعر بألم شديد ومركز هذا الشعور ليس في إصبعك بل في دماغك فإذا زال الشعور من الدماغ بمخدر من المخدرات كالأفيون والبنج لم تشعر بالألم، وكذلك إذا زال هذا الشعور بالاستهواء أي بإقناع العقل أنّ الألم قد زال.

وبه يعلّل عدم خروج الدم من أجسام المنوّمين إذا نخستها بإبرة لأن الدم الذي يخرج من ظاهر الجسم يخرج من الأوعية الشعرية وهذه تضيق وتتسع بواسطة الأعصاب فإذا قبضتها الأعصاب حتى

ضاقت لم يعد الدم يخرج منها، فلا يخرج من الجلد مكان نخس الإبرة. وكذلك الشعور بالطّعوم المختلفة فعلٌ عصبي، فإذا سمع النائم اسم السكر تذكَّر الشعور الذي كان يشعر به حينما يأكل السكر فشعر به وإذا سمع اسم الصبر تذكر الشعور الذي كان يشعر به حينما يأكل صبراً فشعر به. ويحدث مثل ذلك في اليقظة فإذا أكل إنسان لحماً واستطابه حاسباً أنهُ لحم ضأن ثم قلت له إنهُ لحم كلب جاشت نفسه وتقيأ ما أكلهُ كراهةً، وإذا تذكر أكلةً طيبة فاض لعابهُ كأنهُ يتهيأ لأكلها، وكذلك إذا ذُكر لهُ طعم حامض. ويحدث أيضاً في النوم الطبيعي فيحلم النائم أنهُ أكل أكلةً طيبة فيستطيبها أو سمع نغماً مطرباً فيطرب له أي يتذكر هذا الشعور تذكراً.

والأفعال التي يؤمر بها النائم فيفعلها بعدما يستيقظ تعليلها أنّ عقله الباطن يدَّخر المؤثرات التي تأثر فيه حال نومه فتفعل به في اليقظة أيضاً.

وأغرب من ذلك أن يقال لهُ أن على بدنك حرّاقة ولا يكون عليه سوى ورقة بسيطة فيحمر ما تحتها كأنها حراقة صحيحة، وما ذلك إلاَّ لأنه يشعر حينئذٍ شعور من توضع حرّاقة على جسمه وهذا الشعور يؤثر في الأعصاب التي تتحكم في ورود الدم إلى المكان الذي قيل إن الحرّاقة وضعت عليه فيكثر وروده إليهِ كما لو كان عليهِ حرّاقة حقيقية.

ومن هذا القبيل أنَّ البعض يتوهمون أنّهم جُرحوا في مكان ما

من جسمهم فيحمر ذلك المكان ويخرج منه الدم. ومنه أنّ من كان لمفاوي المزاج رضيَّ الأخلاق تجرح يده مثلاً أو ينبت داحس في إصبعه فلا يكترث له فيشفى حالاً وأما العصبي المزاج الشديد القلق الذي يعظّم الأمور ويُصيِّر الحبَّة قبة فإذا جرحت يدهُ التهبت وعسر شفاؤها، وإذا أصابه داحس اضطره إلى عملية جراحية لشدّة فعل أعصابه بأعضائه.

أمّا المنوّمون الذين يعرضون أعمالهم في المحافل العمومية لإدهاش الناظرين والتعيُّش من أموالهم فقلَّما يعتمدون على أفعال التنويم الحقيقي أو قلّما يكتفون بها، والغالب أنهم مشعوذون يستعملون الخفَّة والتدجيل ويعتمدون على الوهم الذي يستولي على الحضور حتى يروا الأمور على غير ما هي عليه ويسمعون الأقوال على غير ما قيلت فهم الذين ينذهلون ويخدعون أنفسهم. وقد يكون واحد من المشعوذين بارعاً في تكييف صوته حتى تسمعهُ من رفيقهِ ولا منهُ بهِ غرائب الأفعال كما أبنا في مقالة سابقة.

رأي العلّامة محمد فريد وجدي

قال العلامة محمد فريد وجدي في موسوعته «دائرة معارف القرن العشرين».

«التنويم المغناطيسي لم يعرف له قدره الحقيقيّ إلاّ لما وفق الطبيب الإنجليزيّ (جمس بريد) سنة ١٨٤٠م إلى إظهاره والسّير فيه سيراً علمياً. من هنا صار التنويم الصناعي عضد الطب ومعوانه في المعاضل التي تقصر عن حلها وسائله العلاجية. قال الأستاذ (بلـز) في كتابه الطب الطبيعي في مجلده الأول صفحة ٧٤٢: «لما نشر بريد كتابه على التنويم الصناعي لم يأبه له الطب الرسمي ولم يعتد به. وما لفتنا إلى مزاياه الطبية إلا الطبيبان الفرنسيان (اذام) من بوردو و(ليبوات) من ننسى وعلى الخصوص هذا الأخير فإنه بتجاربه العديدة كان أوّل من ظن إمكان الاستفادة منه طبياً، وبرهن علمياً على إمكان التأثير على المرضى بهذا التنويم من جهة التلقين وإحداث آثار جليلة ضد الأمراض، فقابل الناس هذه المزاعم أوّلاً بالسخرية ثم بالاضطهاد ثم عورضت وطوردت بتعصب ذميم، ثم انتهى بها الأمر إلى أن أخذت مكاناً عالياً من العلوم

الطبية، وألقت على مسائل الروح الإنسانية نوراً ساطعاً بعد أن كان الناس عن تلك المسائل في غياهب العماية والجهل. التنويم الصناعي له درجات عديدة وللمغرمين به من بحّاثي أوروبا مباحث شتى غريبة. ففي أول درجة يتذكر فيها الإنسان اسمه ويكون مالكاً لجزء من حريته، ثم يترقى نومه فيقع تحت تصرف إرادة منوّمه يوجهه كيف يشاء، فتراه يقتنع بكل ما يوهمه به اقتناعاً تاماً، فلو أوهمه مثلاً أنه ملك عظيم أخذ في الحال شكل العظمة والأبهة، وأعطى نفسه جميع سمات الملوك في الكلام والحركات والعكس بالعكس. روت المجلات الفرنساوية سنة ١٨٩٦ أن رجلاً أنام زنجياً وأوهمه أنّه ذئب ضار، فانبعثت فيه صفات الذئب وهام على وجهه في الأسواق فقتل ثمانية أشخاص وحاول أكل لحومهم. الخلاصة أن المنوّم يكون تحت سلطان منوّمه فيريه ويسمعه أشباحاً وأصواتاً غير موجودة حتى لو لمس جهة من جسمه وقال له إنّ ههنا بثرة، تكونت البثرة في الحال وصارت كأنها تكونت في أيام. في النوم الصناعي يظهر الجسد بمظهر عجيب جداً وهو عدم التأثر بقوانين الفزيولوجيا مطلقاً. منها فقد النائم كل إحساس مهما كانت خطورته فيمكن تقطيع جسده إرباً إرباً بدون أن يتألم ولا أن يستيقظ. قال (جـ. دولون) في كتابه المذهب الروحي أمام العلم: «أن النوشادر المركز إذا أشممته للمنوّم لا يحدث لديه أقلّ تأثير مع أن هذا المحلول إذا شمّه الإنسان في الحالة الاعتيادية يسبب له الموت. وإذا تلاشت خاصية الحسّ في المنوّم فليست خاصية السمع أقل تلاشياً منها فإن أعظم حركة أو صوت لا يؤثر

على عصبه السمعي. كأنه وقع في شلل عام، وقد أطلقت طلقات نارية بجانب فتحة أذنه فلم يتأثر بها أدنى تأثر. ولكن هذه الحالة لا يتمتع بها المنوّم إلا بالنسبة لغير منوّمه، لأن هذا بمجرد تحريك شفتيه بصوت خافت يمكنه أن يفهم المنوّم ما يريده من بعد يستحيل على غيره فيه أن يسمع منه شيئاً بل وأن يرى تحرك شفتيه) انتهى.

اشتغل الطبيبان الشهيران (مارج) و(اسكرول) بهذه المسألة في مستشفى سلبيتريير بفرنسا، وأثبتا عدم حسّ المنومين بطريقة مدهشة على رؤوس الاشهاد. من تجاربهما أنَّهما أتيا بأربع أوقيات من محلول النوشادر المركز وأشماه للمنوم بضع دقائق متوالية وجرّبا ذلك جملة مرات فلم يشاهدا أدنى أثر من ضجر أو ألم عنده فشك أحد الأطباء المنكرين في وجود محلول النوشادر المركز فشمّه هو نفسه فمات لوقته. هذه المشاهدات ليست مقتصرة على عدم الحسّ بل على أمور أخرى هامة كالإخبار بالمغيبات ورؤية الأشياء البعيدة والنفوذ إلى ضمائر الحضور والبعيدين مما لا يكاد يصدقه الإنسان لولا أنه من المشاهدات المحسوسة الثابتة بالتواتر العلمي وقد أثبت بها العلماء المشتغلون بهذا الفن وجود الروح بالأدلة الحسية. روى الوزير (اكزاكوف) الروسي ان امرأة الأستاذ الإنجليزي (دومرجان) اعتادت تنويم امرأة وإرسال روحها إلى المحل الذي تعيّنه لها: فقالت لها يوماً وهي نائمة (اذهبي إلى منزلي الذي كنت أسكنه قديماً). فقالت النائمة: قد فعلت وطرقت الباب بشدة. فقالت امرأة الأستاذ: فذهبت بنفسي في اليوم التالي لأتأكد من

صدقها في تلك المسألة وسألت عما حصل في تلك اللحظة فأجابني السكان بأنهم سمعوا طرقاً شديداً على الباب، فذهبوا فلم يجدوا أحداً، فعلموا أن ذلك فعل أشقياء الأطفال. يقول اكزاكوف عن هذه الحادثة وأمثالها أنّها تثبت بطريقة لا تقبل الشكّ أن للروح وجوداً متميزاً عن المادة وأنها تستطيع أن تعمل ما يعنّ لها بنفسها. واستشهد أيضاً بهذه الحادثة الغريبة: وهي أن (لويس) المنوم المشهور أنام امرأة مرّة أمام جماعة وأمرها بأن تذهب إلى بيتها فتنظر ماذا يعمل أهلها. فقالت المنومة ذهبت فوجدت فيه شخصين يشتغلان بأشغال منزلية فقال (لويس) المسي أحدهما بيدك. عند ذلك أخذت المنومة تضحك قائلة قد لمست إحداهما كما أمرتني فخافتا خوفاً شديداً. فسأل (لويس) الحاضرين عما إذا كان فيه من يعلم بيت المرأة؟ فأجاب بعضهم بالإيجاب. فرجاهم أن يذهبوا إلى بيتها ليتأكدوا مما حصل. فذهبوا وعادوا مؤكدين بأن ما قالته النائمة صحيح، وذلك أنهم وجدوا أهل ذلك المنزل في غاية الهرج من شدة الخوف. وبسؤالهم عن السبب أجابوا بأنهم رأوا شبحاً في المطبخ يمشي ثم جاء فلمس إحدى اللتين كانتا فيه.

لقد خطا فن التنويم المغناطيسي خطوات واسعة جدا وتولاه رجال لا تأخذهم في الحق لومة لائم ومن أعجب تجاربه ما توصل إليه العلامة (الكولونيل دروشاس) مدير مدرسة الهندسة في باريز من إخراج روح الإنسان بواسطة التنويم، وذلك أنه استمرّ يؤثر على شخص بعد تنويمه، فزاده نوماً حتّى وقع في شبه موت ففقد الحس والحركة وجمد جسمه ولم تمكن مخاطبته فلأجل معرفة ما به

عمد إلى تنويم شخص آخر نوماً وسطاً ثم سأله عما أصاب الأول. فقال: إن روحه خرجت وجلست بجانبه على بعـد، فما زال (الكولونيلو دور وشاس) يتلمس تلك الروح حتى قال له النائم نوماً وسطاً إن يدك الآن على ساقها فأثّر الكولونل على تلك الجهة بمشرط فحدث في الحال جرح على ساق المنوم مع أن بينه وبينه أكثر من متر. ثم أخذ في إيقاظ ذلك المنوم. فلما وصل إلى حالة وسطي شرع يرجوه ويستحلفه أن يزيده نوماً حتى يتم خروج روحه، محتجاً بأنّ الحياة الأرضية سجن مظلم، وأنّ روحه لما خرجت كانت تسبح في الوجود مطلقة بلا قيد، وأنها رأت من لذات الحياة ما لم تكن تحلم به وهي في الجسد، وأنها لم تكن متعلقة ببدنه إلا بخيط دقيق فلم يصغ الكولونل إلى كلامه وأيقظه. فلما وصل إلى الحالة الاعتيادية لم يذكر مما جرى له شيئاً. فأعاد تنويمه فتذكر كل ما حدث له أولا كأن له حالتين من الوجود حالة تغلب فيها الروح على الجسد فيعيش الإنسان معيشة روحية وحالة يغلب فيها الجسد على الروح فيعيش الإنسان كما نعيش في حالة حيوانية.

وقد توصل العلامة الكولونل دوروشاش المذكور إلى إحداث تجارب أخرى نقلتها المجلة الروحية الفرنسية التي صدرت في سبتمبر سنة (١٩٠٤) تحت عنوان (قهقرة الذاكرة وخاصية معرفة المستقبل) قال الكولونل المذكور:

«علم الناس من زمان مديد أنّ خاصية تَذَكُّر الحوادث الماضية

في الإنسان تقوى وتنضبط جدًّا في بعض أحوال خاصة لا سيما في أخريات لحظات الحياة. وقد شاهدت أخيراً أن من الممكن الحصول على هذه الخاصية بالتجربة بتنويم الشخص بواسطة الإشارات الطولية بهذه الوسيلة يمكن التطواف بالشخص على كلّ أدوار حياته السابقة. ومتى أثّر عليه المنوّم بالإشارات العرضية وصل به إلى حالته العادية ماراً على حوادثه الماضية بالترتيب حتى يصل إلى السنّ التي هو فيها فإنْ أنعم في العمل أوصله إلى سنّ الشيخوخة وبلغ به عكس ما بلغ أَوّلاً أي إنَّه بالفعل الأول يصل به سنّ الطفولة تدريجاً وبالفعل الثاني يصل به إلى ما سيصل إليه من سن الهرم.

« إذا كان الشخص صاحياً وأثّر المنوّم عليه بالإشارات العرضية أي بالإشارات المقهقرة، هرم الشخص شيئاً فشيئاً وتغلغل في حوادثه المستقبلة، فلأجل إرجاعه إلى سنّه الأولى يجب التأثير عليه بالإشارات الطولية التي تُخفي آثار الإشارات الأولى ».

« وقد تحصلت على هذه التجارب بطريقة واضحة جداً على شخصين وها أنا مورد بعض تلك المشاهدات من سجل التجارب الخاصة بها. ولزيادة البيان أذكر القارىء بأنّ الحوادث المغناطيسية تولد عند أكثر الناس سلسلة أدوار ليتارجية (الليتارجيا حالة شبيهة بالموت) تتعاقب مع أدوار الانتقالات النوميّة كما يتعاقب النوم واليقظة في الحياة العادية. وفي حالة الليتارجيا كما في حالة النوم العادي يسمع الشخص بقوة أو بضعف ولكن لا يستطيع الكلام، وهو في حالة الانتقال النومي من جهة الحالة الطبيعه كما هو في حالة اليقظة غير أنه لا يحسّ إحساساً جلدياً.

(الحالة الأولى مع مدام لمبير)

ذكر أنه بدأ تجاربه مع مدام لمبير ونجح في قهقرة ذاكرتها تدريجاً حتى مرّ بها على جميع أدوار حياتها السابقة إلى أن أوصلها إلى الحين الذي كانت فيه جنيناً في بطن أمها. ثم أصعد ذاكرتها حتى تذكرت نفسها لما كانت روحاً مجردة على هيئة كرة من نور سابحة في الفضاء. ثم عكس الأمر فأثَّر عليها بالإشارات العرضية بقصد التغلغل بروحها في حوادثها المستقبلة فما زالت روحها تنتقل بها من دور إلى دور حتى وصلت إلى سن الهرم وشعرت، بما ستكون عليه قبل أن تصل إليه. فطلب إليها الأستاذ أن يهرمها حتى تصل لدور الموت المنتظر لترى كيف يكون حالها فيه فأبت.

(الحالة الثانية مع جوزفين)

وصف الأستاذ جوزفين بأنها خادمة عمرها ١٨ سنة في بيت أحد أصحابه ممن يعتقدون بالاسبرتزم وأن لها حساسيّة شديدة وأن صحّتها جيدة الخ ثم قال: لما رجعت إلى (فوارون) عدت إلى التجارب ذاتها مع (جوزفين) بدون أن أكاشف أحداً بأعمالي في باريس.

الجلسة الأولى ـ أَنَمْتُها بواسطة الإشارات الطولية للحصول على قهقرة ذاكرتها، ثم أيقظتها بإشارات عرضية، فلما عادت إلى حالتها العادية ورجعت إليها مداركها أدمت التأثير عليها بالإشارات العرضية بحجة إيقاظها تماماً. فلم يمر إلا دقيقة أو دقيقتان حتى قالت بأني أنوّمها بدل أن أُيقظها. فكلفتها أن تترك نفسها

بدون أن تخشى شيئاً، فاعتراها دور ليتارجيا مكث مدة ثم استيقظت منه في دور انتقال نومي، فسألتها عما إذا كانت لم تزل عند المسيو س. (هو سيدها الحالي) فأجابت بالنفي قائلة إنها تركته من منذ ثلاث سنين لترجع إلى بلدها في م.. وأنها الآن لدى أهلها ولها من العمر ٢٥ سنة (مع أنها الآن لا تجاوز ١٨ سنة ولكنها ترى مستقبلها).

فَأَثَّرتُ عليها ثانياً بإشارات عرضية فاعتراها دور ليتارجيا، كانت في أثنائه في غاية السكون (ولكن لم يمضِ إلا قليل حتى لاح عليها ألم شديد جداً، فأدارت وجهها وخبأته بيديها، وبكت بكاء مراً حتى أن مدام س. تأثرت من فعلها غاية التأثر، وانسحبت إلى غرفة أخرى، فلما وصلت إلى الدور التالي وهو دور الانتقال النومي ظهرت حزينة كئيبة كما كانت فسألتها عما أصابها، فلم تجب، ولفَّتْ وجهها كأن بها حياء من شيء فأعملت الظن والحدس في سبب آلامها وقلت لها: لعلك تزوجت الآن فقالت: «لا، لأنه لم يرد مع أنه وعدني بالزواج بي وعداً صريحاً» فقلت لها: أخبريني عن اسمه وأنا أجتهد في التأثير عليه وإقناعه. فأجابتني قائلة: إنك لن تصل إلى غاية معه وإني قد بذلت جهدي فلم أنجح، فعلمت منها إنها لم تزل في بلدتها وإن سنها بلغت ٣٢، وأنها أصيبت بما أصيبت به منذ سنتين ولم أنجح في معرفة اسم الذي تيمها.

لما رأيت حالتها من الكرب الذي أثر علينا جميعاً لشدة وقعه

وظهور فداحته أعدتها إلى حالتها العادية بالإشارات الطولية وهي مارة على الأدوار المتعاقبة من الليتارجيا والانتقال النومي.

(الجلسة الثانية) أعدت أعمالي السابقة فقهقرت ذاكرتها أوّلاً بالإشارات الطولية ثم سرت بها نحو المستقبل بواسطة الإشارات العرضية، فاعتراها بعد الحالة الاعتيادية دور من الليتارجيا فيه هدوء ثم استيقظت وهي في سن ٢٥ سنة في بلدتها، ثم اعتراها دور ثان من الليتارجيا بآلام وخجل كما مر، ثم استيقظت ثانياً في سن ٣٣ سنة فذكرتها بعلاقاتنا السابقة في (فوارون)، وأقنعتها بأن تثق بي، فلفظت اسم متيمها بارتباك وإذا به شاب من الزرّاع في بلدتها اسمه (اوجين ف.) وأنها قد جاءت منه بولد فزدت التأثير عليها فاعترتها ليتارجيا ثم أعقبه انتقال نومي، ثم استيقظت في سن ٤٠ سنة، ساكنة بلدتها م... وهي في غاية الحزن، وعلمت منها أنّ ابنها مات قبل قليل وأنّ (اوجين ف.) تزوّج بأخرى.

فزدتها تأثيراً فاعتراها دور رابع من الليتارجيا أعقبه دور رابع من الانتقال النومي، وإذا بها في سن ٤٥ سنة تعيش من خياطة القبعات لأحد الخياطين. وجدتها مكتئبة جداً وليس لديها علم بسادتها الأولين، وعلمت منها أنّ لويزه أصدق صديقاتها في (فوارون) قد كتبت لها ثلاث خطابات ثم قطعت المكاتبة.

فزدتها تنويماً بالإشارات العرضية المهرمة وكانت قد تعبت فسألتها بعد جملة دقائق من دور ليتارجيا ظاهرية عما إذا كانت قد تقدّمت أدواراً عديدة إلى الأمام. فأجابت بأنها الآن في غاية الهرم

والشيخوخة. وإنها عائشة بجهد جهيد بفضل خياطتها ولكنها الآن نسيت شيئاً من آلامها السابقة فكلمتها عن الموت وسألتها عما إذا كانت تود أن تعرف ما سينالها متى تركت هذه الحياة. فأجابت بالإيجاب، فقلت إذن يلزمني أن أزيدك هرماً فقاومت كثيراً ثم لما أكدت لها أني أعيدها إلى حالتها هذه رضيت وخضعت، عند ذاك زدتها إشارات عرضية، فلم يمر إلا دقيقتان أو ثلاث دقائق حتى رأيتها انقلبت على ظهر كرسيها بآلام شديدة جداً ثم خرّت إلى الأرض واعتراها النزع وسكرات الموت، فزدتها إشارات لأجاوز بها هذا الدور الشديد ولكي أسألها، فماتت فرأيتها غير متألمة بل ولم ترَ أرواحاً وأمكنها أن تتبع جنازتها ودفنها وتسمع ما صار يقوله الناس عنها كقولهم «الموت أولى بهذه المرأة المسكينة فليس لديها ما تقيت به نفسها»، ورأت أن دعوات القسّ لم تفدها فائدة تذكر ولكن دورانه حول تابوتها كان يمنع احتفاف الأرواح الشريرة به وشاهدت أنّ الأفكار الروحية التي تعلمتها عند سيدها القديم قد نفعتها جداً لأنها أعلمتها بحقيقة حالها.

فلما وصلتُ بها إلى هنا لم أرَ حسناً أن أبعدها عما وصلت إليه فأعدتها إلى حالتها الأصلية بالإشارات الطولية فأحدثت الظواهر التي مضت، ولكن بطريقة عكسية فإنها تقهقرت حتى مرت إلى دور النزع ثم منه إلى علاقتها بذلك الرجل».

فهرس المحتويات



جروس برس

طرابلس - لبنان